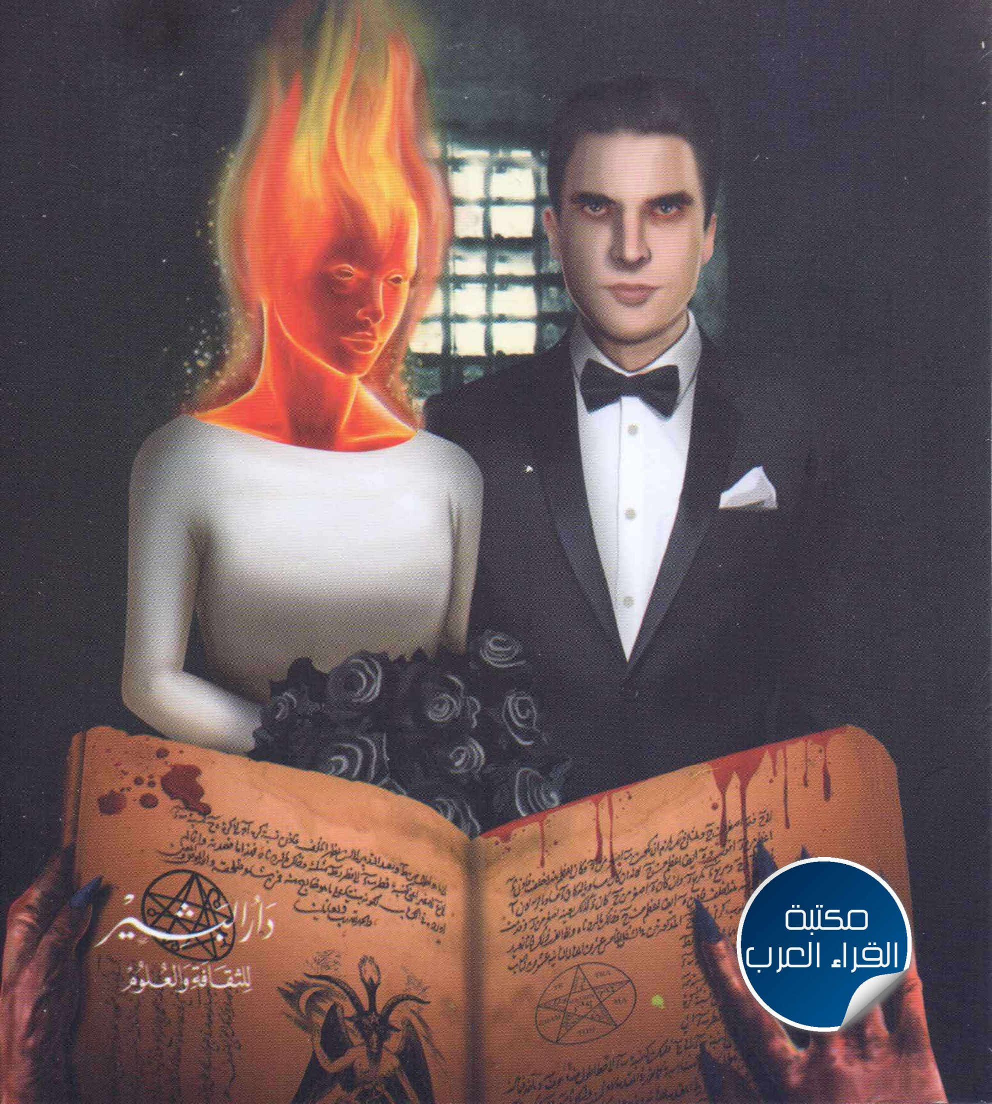
رواية

أنشودة الشيطان

محمد السيد الغتوري



أنشودة الشيطان

محمد السيد الغتوري



.. بدأ أساس الغرفة يختفي، وبدت وكأنها منطقة واسعة، لا يوجد بالغرفة سوى حوائط بلون أرجواني، وسجادة بنفس مساحة الأرض. موسيقى هادئة، ودخانٌ مركَّزٌ بدأ يخرج من المصباح متصلًا حتى السجادة، ولا يتشتت بالغرفة.

ارتفع وقع الموسيقى، انتفض واقفًا يحملق بالدخان الذي بدأ يجتمع فوق السجادة مكونًا أشكالًا تجتمع لتكون شكلًا واحدًا..... رسمٌ متجسدٌ، ثلاثي الأبعاد على صورة فتاة...

رسوم و تصميم : كريم سند


9789772785001



دار البشير للثقافة
01152806533 - 01012355714
darelbasheerealla@gmail.com
darelbasheer@hotmail.com
www.darelbasheer.com

أنشودة الشيطان

للثقافة والعلوم

اسم الكتاب: أنشودة الشيطان

التأليف: محمد السيد القَنُّوري

موضوع الكتاب: رواية

عدد الصفحات: 208 صفحة

عدد الملازم: 13 ملزمة

مقاس الكتاب: 14 × 20

عدد الطبعات: الطبعة الأولى

رقم الإيداع: 22950 / 2015

الترقيم الدولي: ISBN : 978 - 977 - 278 - 500 - 1

التوزيع والنشر

دار البشير للثقافة والعلوم

darelbasheer@hotmail.com

darelbasheeralla@gmail.com

ت: 01152806533

01012355714

1437 هـ
2016م

أنشودة الشيطان

محمد السيد الغَتْوَري



يتأمل الهادي المكان من حوله قبل أن ينزل درجات السلم الكبير الأبيض ذي الدرجات الثلاثين، والتي يفصل بين كل عشر درجات منها مساحة مسطحة مزينة بالورود والرياحين، وزينات أخرى عجيبة لم يرَ مثلها بحياته.

فإذا بالمكان كرقعة بيضاء كبيرة ومسطحة ومكشوفة للسماء، وتبدو النجوم لامعة والقمر بدرًا، وأرجاء المكان باهية، وكأنها وسط قصر مَشيد.

عمدان بزخارف ذهبية وتماثيل بديعة وقطع نادرة بكل مكان، والأرض قد جملت بقطع كرستالية ملساء، وفي نهاية درجات السلم الثلاثين توجد سجادة سميكة حمراء توصل الماشي عليها إلى بهو كبير.

تبدو به الشخوص للناظر من أعلى السلم غير واضحي الملامح والمعالم، ولكن جمال المكان ورائحته الخلابة وموسيقاه الكلاسيكية الناعمة الهادئة لا تعطي مجالًا للاختيار سوى النزول لأسفل، واكتشاف المكان وساكنيه.

وبمجرد أن يبدأ الهادي بالنزول يعلو قليلًا إيقاع الموسيقى، وما إن انتهى من العشر درجات الأولى وشرع في العشر التالية إلّا وتغيرت الموسيقى بأخرى غريبة وغير مفهومة الإيقاع تقترب من موسيقى الرعب غير المنتظمة! ولكنها مازالت هادئة، حتى بدأ في العشر درجات الأخيرة.

اختفت النجوم والبدر، وتغيرت إضاءة المكان من بيضاء صافية إلى ألوان مختلطة.

فتوجست نفسه قليلًا وقرر الرجوع، وحينما التفت ليرجع وجد العشرين درجة التي قطعها قد اختفت، وحتى لم يجد المساحة المسطحة المزينة الجميلة التي تفصل بين العشر درجات الأخيرة والعشرين التي سبقتها!

وبدا السُّلم ذو العشر درجات وكأنه معلق في فضاء أسود.

فتعجب الهادي واضطربت نفسه واستعان بقوة إضافية تظهر في وقت الشدائد.

نعم، هي قوة الإيمان فهو تقي الحافظ لكتاب الله، ولم لا؟! وهو حفيد الشيخ جلال الرجل الصالح.

وبالإضافة إلى قوة إيمانه زاده الله بسطة في الجسم، فهو طويل

قوي البنيان، ويعتبر غير عادي من حيث القوة البدنية.

وأثناء حيرته سمع صوتًا رصينًا هادئًا وقورًا- يقول:

- اتفضل يا أستاذ هادي.

ابن الأصول لمّا يدخل البيت لازم يسلم على سُكانه اتفضل يا ابني.

هدأت نفس الهادي واستجمع قوة إيمانه، وأكمل السير على السجادة الحمراء.

وبدأت رائحة بخور العود تنتشر بأرجاء المكان وسكنت الإنارة على اللون الأبيض، وحينما اقترب

أكثر من نهاية السجادة، بدا المكان كحفلة عُرْسٍ مرموقة.

الزينات بكل مكان، رجال ونساء وأطفال بأبهى مظهر عصري.

مأكولات ومشروبات شكلها الجميل والمنظم يوحي بجودتها وفخامتها.

ولكن لفت نظره شيخ مهيب الطلعة تختلف ملابسه وهيأته عن باقي الحضور، يلبس حُلّة فضية مزركشة بخيوط حريرية لونها أخضر، ويلبس عليها حزامًا قماشيًّا عريضًا بنفس لون الخيوط الحريرية،

ولكن بدرجة أفتح قليلًا ويلبس تاجًا متلألئًا، وحذاءً بنفس لون الحُلّة عريضًا من الأمام

ومفتوحًا من الخلف، وقاعدته ذهبية تحتها طبقة مطاطية خفيفة.

فإذا بالهادي يتأمل المكان وكأنه يبحث عن صاحب الصوت الرصين الهادئ الوقور.

وإذا بالشخص الذي لفت نظره والمختلف عن الجميع يتجه نحوه بخطوات متزنة هادئة يعلوها الشموخ والخيلاء، حتى إذا صار بينه وبين الهادي خطوتين- قال له:

- أهلًا وسهلًا بالرجل الصالح حفيد الرجل الصالح،

اليوم عندنا عرس.

اضطرب الهادي قليلًا؛ لأنه نفس الصوت الذي سمعه عند السلم بنفس رصانته وعظمته ونفس درجة القرب، وكأن الرجل كان يحادثه وهو يقف بجواره! وأيضًا؛ لأنه لا يعلم ما الرد المناسب لكلمات هذا الرجل المهيب الذي يشبه

ملوك الزمن البعيد، وحين رآه الشيخ في حيرة- قال:

- اعتبر المكان مكانك، والبيت بيتك.

وهو يحادثه رأى الهادي العروس، تجلس في بهاء بركن من البهو، أخذ النصيب الأكبر من الزينة والجمال ولكن جمال العروس طاغٍ، بثوبها الأبيض المطرز بالجواهر الثمينة التي تتلألأ كالنجوم، وظهر وجهها كالقمر بدرًا، لدرجة أن الهادي نسي المكان والزمان،

والشيخ نفسه الذي يقف بجواره.

يبتسم الشيخ بمكر لما علم من حال الهادي، وأخرجه من خيالاته مع هذه العروس الجميلة.

فقد تخيل نفسه يجلس بجوارها،

بل تخيل خلوته بها بغرفته، فهو أعزب وتجاوز الخامسة والعشرين، وليس لديه أي تجارب في هذا الاتجاه فهو شاب ملتزم كما أنه ينعم بصحة لا يعلم أين يذهب بها!

فقد أنهى الشيخ بسرعة تلك الخيالات قبل أن يصل الهادي إلى ذروتها- بقوله:

- اتفضل يا أستاذ هادي، أعرفك على أهل العروس.

وعرَّفه على أمها وإخوانها وأخواتها وأعمامها وعماتها وأخوالها وخالاتها.

ثم أخذه إلى العروس، وأجلسه بجوارها- وقال له:

- أما أبوها فهو الملك زعفران، وأنا أحد مساعديه وخُدَّامه.

بعد أن جلس الهادي بجوار العروس لم يُلقِ بالًا بما يقول الشيخ، ولكن شُغِل بالعروس وبجلوسه بجوارها،

وحتى لم يسأل أين العريس؟!

وبدأ حفل العرس وجلس الحضور جميعًا، مما يعني

ولا يدع مجالًا للشك بأن الهادي هو العريس!

فنظر للمرة الأولى إلى ثوبه، فوجده مناسبًا جدًّا لحفل عُرس حضاري، ولا يوجد أبهى منه بالحفل.

فتعجب من كل شيء حوله، وإلى النتيجة الغير محسوبة وغير المتوقعة منه لما يحدث!

فعاجله الشيخ بقوله:

- بالطبع لا يوجد من هو أفضل من حفيد الشيخ جلال ليتزوج بنت الملك زعفران.

فأخذ الهادي يردد بغير وعي للأحداث والأسماء، متقلبًا في فراشه.

- الشيخ جلال- الملك زعفران- عروسة جميلة- حفلة! تناديه أمه:

- يا هادي، يا هادي اصحي يا بني، هتتأخر على شغلك، كل يوم ع الغُلبْ ده يا ربي!

اصحي يا بنى الساعة بقت تمانية! والله ما أنا عارفة

إنت بتشتغل في محكمة محترمة، واللا بتشتغل عند بامبة العالمة!

يبتسم الهادي في فراشه من خفة ظل أمه،

مع نظرة تعجبية بين النوم واليقظة، برفع حاجب واحد وفتح بسيط للعين، ثم تثاؤب تبعه بقوله:

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

ثم تذكر حُلمه الجميل- وقال:

- اللهم اجعله خيرًا يا رب.

وأصبح مستيقظًا تمامًا.

- أيوه يا أمه، أنا صحيت خلاص يا حبيبتي، حضري لي الفطار يا حاجة على ما اختلي بذاتي شوية في الحمام.

ويتقلب في الفراش ويتمطع ويبتسم، فلا يريد أن ينهض كي لا يضيع طعم الحلم الجميل الذي استيقظ عليه،

الحاجة من وسط الشقة بصوت عالٍ:

- لسه هتختلي بذاتك في الحمام!!! يبقى فيها ساعة كمان !عمومًا الفطار على الترابيزة، وأنا ها انزل أشتري الخضار من السوق.

- ماشي يا حاجة، اقفلي الباب وراكي، وما تنسيش تاخدي مفتاحك.

***

الهادي يعيش مع والدته فقط بالشقة بعد وفاة الوالد وزواج أختيه الكبيرتين، فهو الابن الأصغر.

ويعمل كاتب بالمحكمة، يكتب القضايا والأحكام وما شابه، وهو ليس من النوع الذي يكتب بغير فهم كالآلة !

ولكنه لا بد أن يفهم كل كلمة يكتبها، وتفاصيل وملابسات القضايا، وينظر ويتتبع حكم القاضي بتركيز شديد، وهو شاب ملتزم وعلى خلق.

يصلي بالناس إمامًا بزاوية جده الشيخ جلال، الفجر والعصر

والمغرب والعشاء، أما الظهر فيصليه خلف الشيخ مصطفى بمسجد بجوار المحكمة.

وله اهتمامات أخرى، فبعد أن أتم حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ مصطفى، تعلم منه قواعد وأصول إخراج الجن الخبيث من جسد الإنس بالقرآن، ولكنه مازال مبتدئًا رغم حضوره جلسات عديدة للشيخ مصطفى.

وأهم درس تعلمه، أن يكون على طهارة، وأن يكون دائم الذكر لله طوال الجلسة، وأن يستحضر دائمًا أن الجن مخلوق ضعيف ككل المخلوقات بالنسبة لعظمة وقدرة الله، وأن المعيار الفاصل بين الشيخ والجن هو مدى قوة إيمان الشيخ، التي يستمدها بتقوى الله تعالى، والابتعاد عن المعاصي، والإكثار من الطاعات، وكثرة قراءة القرآن.

وعلم أيضًا من الشيخ مصطفى أن أكثر سور القرآن إرهاقًا وإتعابًا وتأثيرًا على الجن الخبيث هي سورة الصافات.

أما الجن المسلم الطيب التقي لأسمع وأفهم للقرآن بوصف النبي ﷺ حين تلا على مسامعهم الآية الكريمة التي تتكرر في سورة الرحمن (فبأي آلاء ربكما تكذبان) كانوا يرددون خلف النبي: لا

نكذب يا ربنا، وحين سمعها الإنس لم يرددوا مقولة إخوانهم الجن.

فالجن المسلمون الطيبون يلتزمون حدودهم وقوانينهم ولا يتعدوها بالأذى لبني الإنس إلّا إن تعدى الإنس

بأعمالهم الشيطانية.

أو طلبهم العون من الجن من دون الله، ولو بكبرائهم على صعاليكهم، فقديمًا حين النزول إلى وادي بنية المبيت فيه، كان الناس يستعيذون بعظماء الجن بهذا الوادي من صعاليكهم، فكان الأذى لا يأتيهم إلّا من هؤلاء العظماء!

(وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا)

صدق الله العظيم

***

توفِّي والد الهادي بعد أن تزوجت كلتا بناته بنفس المنطقة الشعبية البسيطة التي يسكنون بها بالقاهرة.

ولم يترك لأولاده شيئًا سوى الشقة التي يسكن بها الآن هو ووالدته، والتي سيتزوج بها أيضًا.

ونظرًا لمودة وحنان الهادي والأم على البنتين ودعمهما المادي الدائم لهما لم يطلبا من الهادي حقهما بالشقة.

فغالبًا ما تفعل البنات ذلك؛ كي يكون لها مكان دائم في بيت الوالد إن عصف بها الزوج، وكانت لا حيلة لها بالحياة،

ودائمًا يكون الظاهر الذي يقال في مثل هذه الحالة سنترك نصيبنا لأخينا؛ كي يستطيع أن يتزوج هو الآخر.

وللحاجة شقة أخرى بالدور الأرضي بأحد البنايات القديمة، تقوم بإيجارها كي تساعد مع الهادي في شئون الحياة.

ولا تحرم البنتين من حين لآخر كما أسلفت سابقًا،

فكلتا البنتين تعيشان حياة فقيرة تكاد أن تكون معدمة،

فزوجاهما من أصحاب الحرف اليومية، أي رزق يوم بيوم، أحدهما يعمل أجيرًا من بين هؤلاء الذين يجلسون بمنطقة الحرفيين بالقاهرة، ومعهم عدة العمل من مطارق كبيرة وصغيرة ومسامير صلب كبيرة وأجنات حادة، يأتون بها من سوق الحدايد بالسبتية، ويحزم كل عامل عدته ويجلسون بجوار بعضهم البعض بانتظار الفرج.

حتى يأتي إليهم صغار المقاولين أو الزبون مباشرة؛ ليختاروا من

بينهم ما يشاءون، كسوق للنخاسة، فهؤلاء صنف من الناس لا يعبأ أو يهتم لأمرهم أحد!

فربما لا يعمل طوال الشهر سوى أيام قليلة، وربما لا يعمل إطلاقًا طوال الشهر، ما دام الاختيار ليس له معيار سوى ظاهر القوة؛ لأن هذه المهنة بسوق العمل تسمى نحاتًا وليست تعني بلغة المثقفين صانع التماثيل، ولكنها تعني الشخص الذي يقوم بنحت ثقب في جدار خرساني أو تكسير جدار لتغيير ديكور أو ما شابه.

أما الثاني فيعمل نقاشًا وهو الشخص الذي يقوم بأعمال الدهانات، ويعمل هو الآخر بشكل حر، حسب حاجة الأهالي

وهذا الصنف من العمالة غالبًا ما يجتمعون في المساء بأحد المقاهي، وهذا المقهى يُعتبر عنوانهم، من يريد أحدهم في الصباح يذهب إليه أولًا مساء الليلة السابقة؛ كي يتفق معه على عمل اليوم التالي.

فربما يكون حاله أفضل قليلًا من الزوج الأول إلّا أنه صاحبُ كيف، وينفق من قوت أولاده عليه، فلا يستطيع الإقلاع عن تعاطي الحشيش،.

أتعجب كثيرًا من الفقراء الذين يجدون أرزاقهم بصعوبة،

ومع ذلك ينفقونها على المخدرات! هل يعتبر هذا يأسًا من تحسن الأحوال؟ أو محاولة لغياب العقل عن واقع مرير؟ أو نوعًا من محاولة التمرد على الواقع بعمل شيء غريب عجيب لا يصدق حدوثه من فقير معدم؟ ربما شَعُر ولو لحظة الشراء أنه ميسور الحال لدرجة إهدار ماله القليل الذي يعتبر قوته!

سبحان الله له في خلقه شئون.

***

يقضي الهادي نهاره في العمل، كروتين يومي لا ينتهي ولكن طوال اليوم يتذكر حُلمه، الذي سعِدَ به وتمنى أن يكون حقيقة؛ كي يحظى بتلك العروس الجميلة التي لم يرَ مثلها من قبل، لدرجة أنه يعيد كل المشاهد بذاكرته كي لا ينسى أيًا منها حتى غرفته بعد أن استيقظ! أخذ يتذكر كل تفاصيلها بنشوة وشوق أصبح عشقًا بنهاية اليوم!!

صلى العشاء بزاوية الشيخ جلال، وبعد الصلاة سلّم على صديقه كمال الصعيدى، الذي يعمل مدرسًا بمدرسة ابتدائية، ويسكن بشقة والدة الهادي بتلك البناية القديمة القابعة بجوار المدرسة وحده بعد أن طلق زوجته، وهجر الصعيد كله لكثرة مشاكله الاجتماعية هناك.

ومن حين لآخر يجتمع أصدقاء كمال عنده بالشقة للعشاء والسمر وتجاذب أطراف الحديث.

كمال:

- الدكتور سامح وأبوحامد هيزوروني الليلة، هتيجي يا شيخ هادي ولا مفيش نية؟

- هشوف الحاجة طبخت إيه؟ وأجهز العامود وآجي على طول.

بابتسامة وبدون تفكير فهو يحب جلسة

أصدقائه من حين لآخر بانتهاء اليوم.

- وأنا هجيب الفول والطعمية وأستناكم.

- تمام، السلام عليكم.

وبتفرقهما يتذكر الهادي حُلمه وغرفته،

فقد كان ينتوي النوم مبكرًا جدًّا بعد صلاة العشاء مباشرة، ربما استكمل نفس الحلم! واكتملت كل إجراءات الزواج، واصطحب زوجته إلى بيته بل وإلى فراشه، ربما خفف عنه ذلك حرقة الشوق، وعنفوان الشباب، الذي حُرِم من صفة أساسية من صفات الكائنات

الحية بسبب الغلاء وكثرة تكاليف الزواج، حتى وإن كان لهذه الصفة متنفسها الشرعي الطبيعي (كاحتلام حين النوم)، كما يتمنى الهادي كشاب ملتزم، أو ممارستها عنوة منفردًا حين يصحبه الشيطان!

لكن لا هذا ولا ذاك يضاهي ممارستها كما شاء لها الله أن تكون، فيا عجبًا من قوم يقفون ضد تنفيذ شرع الله بالزواج من أجل أي شيء مهما كان! إلّا أن يكون سوء خلق أو دين.

ولكنه تذكر أن الوقت مازال مبكرًا، فيمكنه أن يمكث بعض الوقت مع أصدقائه، وأيضًا النوم مبكرًا.

وصل قبل الهادي صديقهم سامح الذي يكمل دراساته العليا بقسم النفسية والعصبية بكلية الطب، وأبو حامد الذي يعمل مندوبًا للمشتريات بإحدى الشركات.

ويدأت تتعالى ضحكات الشباب،

***

تدق الحاجة أم الهادي باب شقة أم أمل، ابنتها الكبرى زوجة النحات، وبيدها بعض الخبز وطبق كبير من الخضار الطازج المطبوخ الذي أعدته، فهي تفعل ذلك كل يوم لعلمها بضيق حال ابنتها، التي

لديها أربعة أبناء وزوجها فقير.

واليوم التالي تذهب إلى ابنتها الثانية أم عمرو أيضًا ببعض الخبز وطبق الخضار الذي دائمًا تضع الخبز كله أسفل الطبق، وتغطي الطبق برغيف واحد.

فقد وجدت تلك الطريقة أفضل من إعطاء ابنتها القليل من النقود؛ لأن أبا عمرو له سابقة سيئة مع زوجته، فقد أخذ منها النقود عُنوة ذات مرة؛ ليكمل بها على أجر أسبوعه ليشتري مخدرات، وتركها والأولاد جوعى!.

* * *

يسمع كمال دق الباب، فيجيب:

- أيوه، نعم... أهو الشيخ هادي وصل بعاموده الكبير!

أبو حامد:

- عاموده الكبير!! ويكتم الضحك بخبث.

الدكتور سامح:

- واللا الطويل يا سيدي!، المهم يكون جايب حاجة تنفع تتآكل.

- لا يادكتور، أكل الحاجة أم هادي ماركة مسجلة، هو صحيح

أورديحي من غير لحمة، بس جامد.

الهادي:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأخذ يسلم على أصدقائه

يرد الجميع عليه السلام، ويجلس يفترش الطعام البسيط على ورقة جرائد، بإخراجه من العامود طَبقًا تلو الآخر، ويأتي كمال بما اشتراه، ويبدأ الجميع بتناول الطعام.

***

افترشت أم أمل الحصيرة البلاستيكية على البلاط الذي اسْوَد لونه وشاخ من الفقر!

أم أمل:

- اتفضلي ياحاجة... اقعدي يا أمه.

- يزيد فضلك يا بنتي.

- هاتي الطبلية يا أمل، أنا مش عارفة يا أمه إنتِ بتطبخي أي شوية خضار من غير سمنة، وبمَيَّه من الحنفية، بس طعمه زي السكر! وباشم

ريحة الأكل وإنتِ على أول الحارة!

- بركة ربنا يا أم أمل.

- يا بت يا أمل هاتي الطبلية يا اللي تتشكي!

- حاضر يا ماما.

وتمتعض وتشير بيدها وتقول بغيظ، أووووووف.

كانت تقف أمام مرآة مكسورة صغيرة بها خطوط رأسية سوداء، بحمام الشقة الحقير تتلمس التغييرات التي ظهرت بسرعة على جسدها، وجعلته يشبه جسد الإناث الكبار بفرح ونشوة.

تأتي أمل بالطبلية، وتضعها أمام جدتها وأمها، ويأتي الأولاد للعشاء.

- إزيّك يا ستي.

- إزيّك انتَ يا نن عين ستك، إزيّك انتِ يا أمل.

- الحمد لله.

وتتركهن وتنصرف مسرعة إلى مكانها المفضل بالشقة (الحمَّام)

- مش هتقعدي تاكلي مع اخواتك يا بت؟

- لا يا ماما مش عايزة.

- بنتك كبرت يا أم أمل خدي بالك منها!

- البت يا حاجة خراط البنات خرطها بدري، وهي يا دوب مخلصة الإعدادية، وراحت مش عارفة اللي بيقولوا عليه ده الدبلون!

والعرسان يا أختي بيكلموا أبو أمل عليها! جيل مِكَبْرت راكبه ميت عفريت!

- أُمّال فين يا أختي اسم الله عليه أبو أمل؟

- نايم بينازع جوه يا حبّة عيني، جتته سخنة نار.

- طيب قومي يا حبيبتي هاتي طبق صغير، وحطي له شوية خضار، وخدي رغيف عيش خليه يتعشى،

واعملي له كوباية لموناتو.

❊❊❊

سامح: يا أخي الحاجة أم هادي بتطبخ شوية خضار مالوش حل.

أبو حامد: مش قلت لك.

كمال: إيه يا دكتور!، إنت ليه محسسني إن دي أول مرة تدوق خضار الحاجة !

الهادي: بالهنا والشفا.

سامح: خلاص يا عم كمال ما كانتشي كلمة!

ويمزح بطريقة الأصدقاء اللطيفة.

- طب والله ما أنا واكل.

أبو حامد: النبي لا تاكل يا شيخ، ده الأكل اتنسف!! ويضحك الجميع.

سامح: كوباية شاي بقى يا أبو كمال من اللي وصّى عليها لقمان.

كمال: منين!؟ فتشني فتش، ما تفتش يا سيدي فتشني، ما تيجي تفتش، محاولًا تقليد الفنان الجميل اسماعيل ياسين في ابن حميدو، ويضحك الجميع.

يلملم الجميع بقايا الطعام، ويلفلفون ورقة الجرائد ويأخذها كمال إلى كيس القمامة.

ويأتي بالشاي.

سامح: يارب تكون لسه فاكر الإرشادات اللي على جلد الكراسات يا أستاذ كمال قبل ما تعمل الشاي؟

- طبعًا يا دكتور، اغسل يديك قبل الأكل وبعده.

بس ده بنعلمه للعيال في الفصل بس !

يا عم قول يا باسط، قال يعني كاملين المعاني! ده احنا عايشين في حارة.......... ويشير بيده كعلامة بأن الصمت أفضل.

أبو حامد: أهو انتوا كده يا دكاترة تحرموا على الناس السجاير وتدخنوا!! قال يعني هو قام غسل إيده.

سامح: أغسل إيدي ليه؟ يا عم دي إيد دكتور، البكتيريا والميكروبات عارفين كده!

ويضحك ويبتسم الجميع.

أخبار عفاريتك إيه يا شيخ هادي؟

ببعض الغموض الذي يميل قليلًا إلى السخرية الحميمة، فهو يعلم أن الهادي بدأ حديثًا يهتم بتلك القضية، بل تعلمها وبدأ يمارسها بالفعل.

أبو حامد: اسكت يا دكتور سامح، ده بقى شيخ كبير والناس بتطلبه بالاسم، يعمل جلسات للي عنده مَسّ شيطاني

كمال: ألَّا صحيح يا سامح، بما إنك بتعمل دراسات عليا بقسم النفسية والعصبية،

إيه رأيك في حكاية المَسّ وخروج الجن بالقرآن، والشيخ يكلم

الجني والجني يرد عليه، إيه الموضوع ده!؟

الهادي: ودي عايزه كلام يا كمال، الجن مذكور في القرآن الكريم يا أخي!

سامح: والله يا جماعة رأي العلم في الحكاية دي إنها خرافات وشعوذة من جهة المعالج الروحاني، ومرض نفسي من جهة الحالة.

الهادي: مرض نفسي!؟

مرض نفسي ازاي؟ والحالة صوتها بيتغير، ونظرة عينيها!! وليه الحالة بتقع على الأرض وتتشنج بمجرد إني أبدأ أقرأ عليها القرآن!؟

سامح: الحالة في حالتها العادية في حياتها يعني بيكون عليها ضغط وألم لا يتحمله بشر،

عشان كده بيِتخْرُج من الألم والضغط ده بتخيل أشياء تانية، أو إنها بتعيش حياة تانية بشخصية تانية، أو بتوهم اللي حواليها إنها بتعاني من المس الشيطاني ربما استعطفتهم أو لفتت انتباههم إليها!.

وحكاية التشنج دي..... ده مرض عضوي معروف.

أبو حامد: وحكاية الربط ليلة الدخلة دي تفسيرها إيه عندكوا يا دكتور؟

- جرى إيه يا جماعة!! انتوا ما اتفرجتوش على فيلم البيضة

والحجر واللا إيه!؟

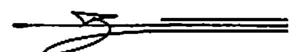
الفيلم أجاب إجابة علمية فلسفية عن الموضوع ده، إنه بيكون فيه شوية قلق وتوتر من الزوج، ويمكن مجهود وتعب الفرح، وكمان قلة لغة الحوار قبل ليلة الدخلة، ربما كان الزواج سريعًا أو العروسة أصلًا بومة والعريس اتدبِّس فيها.

ويضحك ويتبعه الجميع، وبمجرد أن تمر ليلتان أو تلاتة، والعريس يرتاح والعروسة تاخد بالها شوية من نفسها وياكلوا أكلة دسمة، الدنيا بتفك لوحدها.

كمال: بس الدكتور مُستطاع، العبقري أحمد زكي في الفيلم عالج الحكاية دي بإزالة الوهم المسيطر على الحالة بوهم تاني أكبر، لما قال للعروسة (كوني جميلة، وباسم ما أعرفشي مين، وبحق مش عارف ايه!)... أي بتنجان والنصباية دي جابت نتيجة مع الحالة.

سامح: السكة دي فيها النصابين والدجالين والمشعوذين والمنجمين، وفيها العلم.

الهادي: المس الشيطاني وارد، والعلاج بالقرآن مفيش أحسن منه.



سامح:

- تمام، بس افترض جدلًا إن الحالة فعلًا مريض نفسي، ولا يوجد به مس شيطاني، وقرأ المشايخ عليه القرآن بلا جدوى، والحالة فضلت زي ما هي، وبدون أي تحسُّن، ومش هتتحسن إلّا بمراجعة المتخصصين بعلوم الطب النفسي،

موقف الناس هيكون إيه؟

هيقولوا القرآن ما جابشى نتيجة! وربما سلكوا مسالك شيطانية، أو راحوا لواحد نصاب.

كمال: ده أنا أعرف واحد في الصعيد عامل فِرْدة على الناس، لازم يدفعها قبل ليلة الدخلة، وإلّا........... ويضحك.

انتوا عارفين الباقي، لدرجة إنه ما رحمشي شاب عاجز، فقير، ربطه ليلة الدخلة.

بس صحيح كل ذي عاهة جبار،

راح لبيته الساعة اتنين بعد نص الليل! وفضحه في الشارع، وبعلو صوته والله يا ابن ستين كلب، لو ما بطلت سحرك دلوقتي حالًا هولع لك في الدار!

خاف منه الراجل، وخرج له، وقال له:

- طيب خلاص روح انبسط!

سامح: وراح انبسط!؟

كمال: بيقول في ساعتها حسيت إني هتجوز على روحي!

ويضحك ويبتسم الجميع.

أبو حامد: يا جماعة السحر موجود، أبويا الله يرحمه حكى لي إن واحد في القهوة خلّى قالبين طوب يتخانقوا مع بعض، واحد أحمر وواحد ني، وخلى القالب الني هو اللي يفوز! وكمان كان بيقول للشيشة روحي عند فلان بالاسم كانت الشيشة تطير في الهواء ببطء وتروح لفلان!

سامح: السحر معظمه خفة يد.

الهادي: لأ يا دكتور، السحر مش خدع وخفة يد، ده موجود ومذكور في القرآن الكريم.

كمال: واضح إن الموضوع كبير يا جماعة، ومحتاج علماء ومشايخ كبار.

الهادي يتذكر غرفته والنوم والحُلم الذي يتمنى اكتماله، فيحاول أن يغلق الحوار، فيقول:

- عمومًا أنا هسأل الشيخ مصطفى عن الكلام ده كله.

أبو حامد: وانت كمان يا دكتور سامح، عايزين تأكيد من أساتذتك في الحكايات دي.

سامح: مع إني متأكد من الإجابة، لكن على أي حال ها اسأل.

كمال: طبعًا كله هيلعب كوتشينة؟.

الهادي: لا. اسمحولي أنا يا جماعة، انتوا عارفين باحب أنام بدري عشان أعرف أصحى أصلي الفجر.

سامح: ماشي يا شيخ هادي، ربنا يجعلنا من بركاتك يا سيدي.

- وبركاتي أنا ليه يا دكتور، تعالى صلي معانا الفجر، هي الصلاة كمان بقت بركات وكرامات!؟

***

يرجع الهادي إلى بيته بخطوات بطيئة متثاقلة، على غير عادته، فقد شغل تفكيره التحليل العلمي لصديقه الدكتور سامح، عن حالات المسّ التي يعالجها الشيخ مصطفى.

بل ووصفه لما يقوم به شيخه بأنه خرافات وشعوذة وعدم تأكيده

العلاج بالقرآن، وخطر ذلك على عقيدة الناس.

ويؤكد على نفسه، وهو في متاهة تلك الخيالات، ويقول بصوت مسموع، وبحركة ترددية تأكيدية بيده اليمنى:

- إن شاء الله هتكلم مع الشيخ مصطفى ضروري.

يلمح ذلك أحد سكان الحارة، فيضرب كفًّا بكفٍّ، ويقول:

- لا حول ولا قوة إلا بالله،

الجدع دماغه اتلحست من شغل العفاريت!!

وعندما يدخل الهادي شقته يطرح كل هذه الأفكار خارجًا، حيث يشم رائحة جميلة تفوح من غرفته، وتملأ الشقة، بشكل ممتع دون اختناق.

- ما شاء الله الحاجة شكلها بَخَّرِتْ الشقة قبل ما تنزل لاخواتي.

يدخل غرفته وهو سعيد، فلم يشعر بجمال الغرفة بهذه الطريقة من قبل ويخلُد إلى النوم.

* * *

اطمأنت الحاجة على «أبو أمل» بعد أن شرب عصير الليمون وأخذ قرصًا مسكنًا للآلام.

تفتح باب شقتها وتتعجب من تلك الرائحة الجميلة التي تشبه رائحة البخور.

وعلمت بعودة الهادي لوجود حذائه داخل الشقة بجوار الباب.

- يا اختي ! إيه اللي جاب البخور ده هنا يا اخواتي؟! يمكن الهادي ناوي يحضر عفاريته هنا في الشقة؟!

وتنادي عليه ناحية المرحاض، فلم يرد.

فهي معتادة أنه لا يدخل غرفته إلا وقت النوم، وطوال وجوده بالشقة يجلس بمكان المعيشة.

فتقول متعجبة:

- يا (حومتى)!!! ليكون الواد عيان، معقولة نام بدري قوي كده !!

فتذهب لتطمئن عليه بغرفة نومه،

وتفتح باب الغرفة، وترى المنظر الذي إن رأته أي واحدة من محارمه لانصرفت فورًا من الخجل!

رغم أنه كان ملتحفًا.

إلّا الأم، فلن تستطيع النوم إلّا إن اطمأنت عليه، فأكملت طريقها إليه، وأخذت توقظه:

- يا هادي... هادي.

وهي تضرب بيدها برفق على وجهه.

الهادي يشعر بأمه، وبنفسه، ويغير وضع النوم إلى جنبه الأيمن، فقد كان نائمًا على ظهره.

- أيوه يا حاجّة، خير فيه حاجة، بتصحيني ليه يا أمه؟

- خير يا ابني، إنت كويس يا ضنايه، نمت بدري ليه كده؟

الهادي لا يريد أن يستيقظ، ويغط في النوم بسرعة ويقول بلسان ثقيل:

- أنا كووووييس يا حححاجج كوووو

الحاجة- وهي تنصرف:

- نوم العوافي يا حبيبي.

تغلق باب غرفة الهادي، وتحزن لعدم قدرتها على مساعدة ابنها كي يشفي حر أشواقه، ولا تملك سوى الدعاء.

فأخذت تدعو له بصلاح الأحوال، وأن ينعم عليه الله بالزوجه الصالحة.

* * *

الليل ستر جميل للصالح والطالح،

يستر الشيخ مصطفى في محراب تعبده، ويغلق كل أبواب النفاق، فلا يطَّلِعُ عليه وهو يناجي ربه بقيام جزء من الليل أحد.

يصلي ويقرأ في كتاب الله ويدعو للمسلمين جميعًا بالمغفرة والرحمة والهداية، ثم لنفسه وللمقربين إليه.

في معية جميلة، تحفها ملائكة الرحمة، تؤمن على الدعوات وتبارك الصلوات.

وفي حضرة الملك وحده، وعند الاكتفاء به، يأتي الكون كله خادمًا، ويهون كل شيء، ويتضاءل،

فوقتها يتخلص القلب ويتطهر من كل شيء ويستغني عن كل شيء، فكل شيء لا يساوي شيء أمام لحظة مناجاة ولحظة استشعار للقوة العليا.

ولِمَ العجب من نور وجوه الصالحين؟ وقد عاشت وشاهدت المحضر العظيم بجماله وجلاله.

الذي يبعد عنه كل خبيث، وكل شيطان رجيم، وإلّا نال الجزاء المبين.

فلا يستطيع أذى الصالحين، المصلين، الذاكرين، بل ينتظر ولو بعد حين!

وحتى يحين الحين، يوسوس بالضلال المبين، والتكاسل والتأجيل لكل عمل جليل.

وينظر في صفات الآدميين، ويختار من بينها مدخلًا لعينًا.

أما العاصون عليه هيِّنون سائغون، يعبث بهم كيفما شاء،

فهدفه الأسمى أن يوصل بني آدم للشرك أصغره وأكبره، يجند لهدفه جنده، وجرت المشيئة أن يكون لكل آدمي منذ ولادته قرين، يعلم عنه كل ما يعلم هو، ويوسوس

إليه بالشر، حين يعشُ عن ذكر الرحمن، ويمشي في طريق الضلال، ويخبر عنه الأخبار، لكل من يريد خبرًا عنه من شياطين الجن.

وكذلك الرجيم جعل إليه مقربين من الكفرة المشركين، من يعبدونه من دون الله، وذاك هو الظلم المبين.

يساعدونه في نشر الشر والظلم والفساد والشرك كمجالس إدارية في كل مكان!

وكل من عبد الطاغوت يظن أنه أخذ الثمن،

سواء عبادة بشكل مباشر أو عباده مقنعة، والجميع خاسرون، فلا يخرج من الخبيث إلّا الخبث.

* * *

وكما لليل كائنات نورانية، فلَه أيضًا كائنات شيطانية، يجلس أبو عمرو زوج أخت الهادي مع أصدقاء السوء، شياطين الإنس العاصين، يحرق قوته وقوت أولاده، مع أنفاس المخدرات، وكفاه إثمًا أن يضيع من يعول.

***

يستيقظ الهادي كل يوم قبل أذان الفجر، بوقت كافٍ كي يستعد للصلاة.

ولكن لم يوقظه اليوم سوى الأذان، فقد باءت كل محاولات الحاجة لإيقاظه؛ بالفشل.

فقد تعودت استيقاظه لصلاة الفجر وحده.

وعذاب إيقاظه كل يوم في وقت العمل فقط، فتركته وشأنه، وافترشت سجادة صلاتها بوسط الشقة، وبدأت بالصلاة، خرج الهادي مسرعًا من غرفته، وهي بالتشهد لصلاة نافلة، واتجه للمرحاض أو الحمام يغتسل أو يستحم بماء بارد فجر الشتاء، قارس البرد.

الحاجة بابتسامة مكر، وهي تقف بجوار باب الحمام- أسخن لك شوية ميه يا شيخ هادي!؟

الهادي يخرج مبتسمًا بقليل من الخجل والمنشفة على رأسه،

فالاستحمام بهذا البرد بالتأكيد ليس اختياريًّا.

- لا، شكرًا يا حاجة، أنا خلصت خلاص بسرعة عشان الصلاة.

ويخرج مسرعًا ربما التحق بالمصلين في الركعة الثانية.

❊❊❊

أتى نور الصباح مبهجًا، ووزعت الأرزاق على جميع خلق الله.

أسرة متوسطة الحال يتناولون طعام إفطارهم على سفرة متواضعة،

يتناول سامح الطعام على عَجَل واقفًا بملابس الخروج،

وتجلس الوالدة والوالد وأخته الوحيدة سحر التي تعمل معلمة برياض الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة.

الأم: يا حبيبي، اقعد وكل على مهلك.

الأب: الجماعة بتوع العلم دول وقتهم من دهب.

سحر: لا يا بابا، قول الجماعة دكاترة المجانين دول سَيْكو زيهم!

وتشير بيدها اليسرى إشارة تفيد نفس المعنى،

وتنظر لسامح نظرة المجانين.

سامح: مش كل مرضى السيكو مجانين يا جاهلة،

مشاهير ونجوم البلد كلهم بيترددوا على مركز الدكتور مؤنس.

وينصرف بسرعة قائلًا:

- سلام يا بابا، سلام يا ماما، وبصوتٍ عال- سلام يا سيككككوووو

سحر: أنا برده اللي سيكو!! وتبتسم.

ينزل سامح من مواصلة عامة أمام باب الجامعة، ويتجه إلى كليته خلال حرم الجامعة.

الذي يزهو بزهور المستقبل، الشباب الواعد وبالمساحات الواسعة والأشجار المنسقة التي يزدحم عليها العصافير.

بأصواتها التي تعطي الحياة للمكان،

والورود الجميلة، ذات الألوان الزاهية، ومجموعات الطلبة بكل مكان يتحدثون في مناقشات علمية أو سياسية،

وأيضًا لا يخلو حرم الجامعة من قصص الحب التي لا ينجح ولا يكتمل منها إلّا القليل،

يبحث سامح عن أستاذه الدكتور مؤنس بكل مكان، وأخيرًا يجده بالمكتبة، بحالة صمت رهيب، وتركيز يصل إلى درجة النوم!.

ولا عجب في ذلك، فعندما يصل أي شيء إلى أقصى مدًى فيه

يبدأ بالانعكاس لضده،

ولا مجال ولا اختيار لسامح أن يُخْرِج أستاذه من هذه الحالة، فهو ليس بالمكان ولا بالزمان! وجلس عن بُعد يترقب أي فرصة للحديث مع أستاذه.

❊ ❊ ❊

يجلس أبو حامد بغرفة الاجتماعات الأنيقة مع زملائه مندوبي المبيعات الجُدُدْ، الذين وقع عليهم الاختيار للعمل بالشركة،

بواسطة مدير الشركة بالمقابلات التي تمت سابقًا وحضر إليها آلاف الشباب الجامعي البائس اليائس الباحث عن عمل

للنجاة من الغرق ببحر البطالة المخيف،

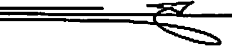
كما يجلس أيضًا بعضٌ من زملائه القدامى، ويخلو المقعد الرئيسي، فالجميع بانتظار المدير ليبدأ الاجتماع.

يجلس بجوار «أبو حامد» شاب جديد هيئته متواضعة جدًّا، ويبدو عليه حسن الخلق.

أبو حامد: نتشرف بالاسم؟

الشاب: خالد.

- خريج تجارة طبعًا؟



- لا. خدمة اجتماعية

- منين يا خالد؟

- من بني سويف، وحضرتك؟

- أرض اللواء، تعرفها؟

- لا والله.

- من بني سويف وهتشتغل في القاهرة إزاي؟ إنت عندك سكن هنا؟

- لأ.

- وأقنعت المدير في المقابلة إزاي!؟

- والله قلت له إني هدوَّر على سكن، ودي مسئوليتي.

- طيب خلاص، خلاص المدير وصل.

يجلس المدير على الكرسي الرئيسي الدوار، ويشعل سيجارًا فاخرًا، يرتدي بدلة فخمة وخاتمًا بأصبع يده اليمنى الصغير، وساعة سويسرية شيك بيده اليسرى.

المدير: صباح الخير يا شباب.

- صباح الخير يا فندم.

- بنرحب بالشباب الجداد اللي انضموا لفريق العمل، ونتمنى لكم التوفيق معانا.

أول أربع أيام تدريب هنا بمركز الإدارة، وبعد كده الشغل هيكون خارجي.

ويبدأ بالحديث عن الشركة ومنتجاتها وطريقة التسويق ودور مندوب البيع، وخلاف ذلك من متعلقات العمل.

***

ظل سامح ينتظر بصمت، يراقب أستاذه حتى خرج من حالة تركيزه الشديد، بتثاؤب، ووضع كف يده على فمه، وأَمَالَ نظره متفحصًا الحضور بالمكتبة، ووقعت عينه على

سامح جالسًا ينظر إليه، وليس بيده كتاب يقرؤه.

الدكتور مؤنس: سامح !

- صباح الخير يا دكتور.

- صباح الخير، إزيك يا سامح؟

- بخير يا دكتور، الحمد لله.

- خير يا سامح فيه حاجة!؟ وكنت قاعد ليه كده!؟

- والله يا دكتور محبيتشي أقطع على حضرتك تركيزك في الكتاب.

- شكرًا جزيلًا يا دكتور سامح، فعلًا أنا كنت مركز جدًّا في قراءة الكتاب الروحاني الجميل ده، بيتكلم

عن التنويم المغناطيسي، وبعض العلاجات اللي نجحت بطريقته، لكن شكلي كده نمت مغناطيسيًّا.

ويضحك ضحكة خفيفة، ويبتسم سامح.

- مش غريب شوية إن حضرتك تربط بين النوم المغناطيسي والروحانيات!؟

- الإنسان لغز كبير جدًّا يا سامح، وكله متصل ببعضه

وبعدين يعنى إيه نوم مغناطيسي؟ ويعني إيه نوم أصلًا!؟.

ويعتدل في جلسته، وينظر بتركيز إلى سقف المكتبة متكئًا بذقنه على كف يده اليسرى، وكأنه يقرأ سطورًا نقشت بالفراغ.

- النوم يعني استسلام تام للعقل الباطن، وجعله المسيطر على

مقاليد الأمور فيأخذك بعيدًا بعيدًا حيث يشاء، حسب الأفكار اللي بتلح عليه خارج نطاق العقل الظاهر.

اللي بيحكم كل شيء بقوانين المنطق والأسباب.

واللي بيخليك دايمًا تعرض عليه أي فعل قبل ما تعمله ويقرر إنجازه أو رفضه، حسب مخزون وخبرة السنين،

اللي تمركزت داخله بالذاكرة.

- يعني اللي يفقد الذاكرة يا دكتور ما عندوش أي مرجعيات منطقية يهتدي بها العقل؟

- مفيش فقد كلي للذاكرة، لكن تظل الفطرة والبديهيات ما يُفقد فقط اللي بيكتسبه الإنسان من خبرة ومعارف

طوال سنين عمره، سواء فُقدان كلي أو جزئي، وده بيظهر في بعض حالات الزهايمر المتأخرة، تلاقي حالة مثلًا تنسى كل الناس، لكن يوجد فرد لا يمكن أن تنساه أبدًا! زي الزوج أو الزوجة أو الأب أو الأم أو أحد الأبناء، والسبب اللي انطبع في الأعماق الداخلية البعيدة عن الشخص ده، بسبب الحب والحنان الطاغي أو الارتباط بوجوده لدرجة الاعتماد عليه.

ينسى مؤنس الموضوع الأساسي من الاسترسال في الإجابة على سؤال تلميذه، وحين ينتبه يسأل:

- هو احنا كنا بنتكلم في إيه؟

- العقل الظاهر والعقل الباطن، وقوانين المنطق والأسباب للعقل الظاهر.

- أيوه نعم.

العقل الباطن يختلف تمامًا عن العقل الظاهر، فهو يعتبر بوابة الهروب من قيود المنطق والأسباب، والأحداث المؤلمة، فيعتبر متنفسًا لما لا يستطيع الموافقة عليه العقل الظاهر، فيفعل ما يحلو له أثناء النوم، لا يحكمه أي شيء!

زي ما بنشوف في الأحلام، تقدر تطير بجناحين مثلًا وإنت مصدق إن ده شيء عادي!

تتجوز صوفيا لورين ويمكن كمان هي اللي تدفع لك المهر!

يضحك سامح، لكن مؤنس يظل بحالة التركيز والذوبان في عِلْمه، ويردف قائلًا:

- والطبيعي إن العقل الظاهر هو اللي بيسيطر على العقل الباطن ويقوده ويكبح شروده بعيدًا عن الواقع والحقائق.

وهنا المعادلة والموازنة الصعبة والخيط الرفيع بين الإنسان العادي الطبيعي والإنسان المريض.

فالطبيعي بيعرف يفرق بين عقله الظاهر وخيالات عقله الباطن.

واللي عندهم ذكاء حاد، بيعرفوا وقت النوم ببعض أحلامهم إنهم بعالم خيالي افتراضي صنعه العقل الباطن، وأنهم دلوقتي بيحلموا،

أما المريض بيفضل عقله الباطن في صراع مستمر مع عقله الظاهر حتى أثناء اليقظة! وطبعًا العقل الباطن يتغلب؛

لأن المريض عايز يفلت من صعوبة منطقية العقل الظاهر، وخاصة إن كانت فوق طاقة احتماله.

وعلى حسب درجة سيطرة العقل الباطن وتغلبه، تكون درجة المرض.

وأقل درجة من درجات السيطرة هي درجة النوم أو السَّرَحَان.

بتزيد بعد كده للهلوسة والكلام بصوت عالي وقت الوحدة والانعزال، وأحيانًا بدون خلوة!

- ده على كده يا دكتور نص الناس مرضى، كله بيكلم نفسه في الشوارع!.

يبتسم مؤنس باسترسال لحديثه- قائلًا:

- وطبعًا القصة بتوصل لدرجة الفصام أو الاسكيزوفرينيا المشهورة باسم شيزوفرينيا، اللي ممكن توصل إن

الشخص يعيش بخمس شخصيات مختلفة، وربما انتحر وقتل نفسه بنفسه!

وطبعًا شخصية من الخمسة بداخله قتلت شخصية أخرى ضعيفة، هو بيكرهها، عشان كده خلّى الشخصية الشريرة بداخله تنتصر عليها.

- تمام، طيب بالنسبة للتنويم المغناطيسي يا دكتور، هو ليه اتسمى كده؟

- إنت لسه نايم يا سامح!؟ بابتسامة وُدّ.

لأن الوسيط بياخدك ويجذبك زي المغناطيس! بعيد عن حدود المكان والزمان، من غير ما تشعر، وبيخلي عقلك الباطن يتخيل زمن تاني، ومكان جديد بتفاصيل تانية،

وبيخليك تتعايش معاها تمامًا، ومن دقة الوصف بيخليك تنسى

المكان اللي انت موجود فيه بالفعل!

وكأنك في حلم، وكل ما زادت دقة الوصف للمكان الجديد، مع بعض المؤثرات كتقليل الإضاءة والاسترخاء، والتنفس ببطء وعمق، فإنه يصل بالفعل إلى التغييرات

التي تحدث أثناء النوم، إن أسلم نفسه بالفعل للفكرة وصدقها، وتعايش مع الوصف والمؤثرات.

أما إن تغلب العقل الظاهر وتحكم، ولم يصدق، ما يحصلشي أي تغيير.

والدكتور المتميز وخاصة بمجال علوم النفس المفروض ما يكتفيش بمعلومات الكتب بس!، لازم يقرأ علوم تانية لها علاقة بالنفس، ويخلي رأي الدين والتجربة أمام عينيه دايمًا، فكل إنسان يختلف تمامًا عن غيره،

واللي بيعالج إنسان وارد جدًّا إنه ما يعالجشي غيره لنفس العلة!

- شكرًا جزيلًا يا دكتور.

ويهم بالانصراف ويسلم على أستاذه.

- هو انت كنت عايز حاجة يا سامح!؟

- لا يا فندم، أنا كنت عايز أسلم على حضرتك بس.

فلم يجد مجالًا للأسئلة التقليدية للبسطاء من وجهة نظره، والتي كان ينتوي أن يسأله إياها.

* * *

بعد انتهاء الاجتماع وانصراف المدير، يفتح خالد حوارًا مع «أبو حامد»..

خالد: ما اتعرفتش باسم حضرتك!.

- أبو حامد.

- حضرتك خريج تجارة يا أبو حامد؟

- أيوه نعم، وهي هتفرق تجارة واللا عفريت أزرق، ما يغركشي منظر الإدارة وشياكة المدير.

هكذا قالها مازحًا، ثم أردف قائلًا:

- ده انت هيطلع عينك في الشغلانه دي، مش عايز أجيب لك إحباط من أولها!

- أي شغلانة والسلام يا أبو حامد، أحسن من البطالة.

- عمومًا إن شاء الله هدبر لك السكن، فيه مدرس صاحبي ساكن

لوحده، إن شاء الله أقنعه إنك تسكن معاه، بعد الشغل تعالى معايا، وربنا يقدم اللي فيه الخير.

- أنا مش عارف أقول لك إيه؟ شكرًا- شكرًا جزيلًا.

***

يصلي الهادي كعادته الظهر خلف الشيخ مصطفى بالصف الأول، وبعد انتهاء الصلاة وانصراف المصلين يُسلم الهادي على شيخه بحب واحترام.

الهادي: السلام عليكم.

الشيخ مصطفى: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، إزيك يا شيخ هادي، عندنا جلسة بُكْرَه بعد صلاة الجمعة

إن شاء الله.

(يقصد جلسة علاج بالقرآن)

- إن شاء الله، المكان فين يا مولانا؟

- في المقطم، في بيت أحد الأصدقاء.

(ووصف له العنوان)

- إن شاء الله.

مولانا أنا حصل لي حاجة كده عايز أحكي لحضرتك عليها.

- احْكِ يا شيخ هادي، ربنا يجعله خير يارب.

- أنا حلمت حلم غريب!

- خير يا شيخ هادي!.

- الغرابة مش في الحلم! الغرابة إنه تم في ليلتين ورا بعض، نصه بليلة، والنص التاني بالليلة اللي بعدها!

ينتبه الشيخ مصطفى، ويبدو عليه بداية التركيز مع الهادي.

- قُص عليَّ حلم الليلة الأولى.

فبدأ الهادي يحكي له بالتفصيل حلمه بالليلة الأولى.

***

يدخل الدكتور مؤنس الفيلا الأنيقة التي يسكن بها من بابها الرئيسي بالدور الأرضي، ويسترخي على كرسي هزاز من الخيزران بعد أن قام بتشغيل أسطوانة لموسيقى موزارت،

وسافر بخياله إلى العشرين سنة التي قضاها بأمريكا قبل أن يقرر

العودة إلى مصر.

بعد أن توفت زوجته هناك، تاركة له بنتين شابتين جميلتين، سالي ثلاثة وعشرين سنة، وليندە واحد وعشرين سنة.

ويتذكر زوجته وهما يخططان سويًّا تصورهما عن الفيلا التي ستتجمع بها الأسرة بعد سنين الغربة.

ويتذكر اقتراحه بوضع حمام السباحة في حديقة الفيلا وَضَرْب زوجته له على يده بيدها، وهو يرسم ذلك على الورق، وتقول له:

- كده مش هنكون براحتنا أنا والبنات.

ثم تتقدم هي، وتكشف الستار عن تصورها،

وتقول:

- نعمل للفيلا بدروم بباب له زجاج فاميه، وستاير بحيث يكشف لنا المساحات الخضراء ومحدش يقدر يكشف البدروم، خاصة لو نزلنا الستاير.

وكمان ممكن نعمل ساونا وجاكوزى بارد وساخن.

وكذلك صالة صغيرة للتمارين الرياضية، وركنة للمشروبات.

- كل ده في البدروم!؟

- الدور الأرضي بقى يكون فيه الاستقبال والمطبخ والسفرة، ومكتب للعالم الكبير.

- تشكرات أفنظم.

يقولها منحنيًا إليها ومبتسمًا

وصالة بلياردو صغيرة، ربما تحب تستضيف حد من زمايلك،

والدور الأول غرف نوم، وكل غرفة مستقلة، لها

التواليت الخاص بيها، أما الرووف بقى، نعمل فيه غرف الشغالين، ومكان مخصص للجلوس بالهواء الطلق المنعش الجميل وحولنا اللون الأخضر، وممكن كمان مكان لحفلات الشوي، أنا عارفة إنك بتحب القصة دي ومن هواياتك.

* * *

زوجة مؤنس كانت أيضًا متخصصة بعلم النفس، وتم تربية البنتين على الانفتاح والحرية الكاملة، دون الوقوع بالخطأ، وأن الأب والأم يحترمان حرية واستقلال كل فرد، لكن الفرد لا يجب عليه أن يتعدى على حريات الآخرين.

وحتى التعاليم الدينية، تم عرضها على البنتين، وتركت حرية الاختيار لهما.

فكل إنسان له علمه وثقافته ومرجعياته وقناعاته، مؤنس وزوجته قاما بتربية البنتين على ذلك ظنًّا منهما

الخلاص من الرجعية والتخلف والعقد، وفي نفس الوقت واثقين أنهما زرعا الثقة بالنفس، وعدم إهانتها بالخطيئة،

وأن آدميتهما أغلى بكثير أن تقيَّد حريتهما، وأيضًا أغلى بكثير أن تُدَنَّسَ بفعل خلف الحجب!

أي حرية وانطلاق، واحترام للنفس بدلًا من التخلف والرجعية والعقد والكبت الذي ربما أوقع في مصائب أكبر من الحرية والانطلاق.

***

الذكريات دائمًا مؤلمة، فهي إما أن تكون لأحداث مؤلمة، أو لأحداث سعيدة، فتصبح أيضًا مؤلمة لأنها انتهت، أو لفقدان بعض من شاركونا هذه الذكريات من أحبائنا، يتلمس مؤنس رحيق زهرتيه الجميلتين، اللتين حظي بهما من بستان الحياة، يعبث بتليفونه المحمول قائلًا:

- يا دادة......... دادة.

- نعم يا دكتور.

- فنجان قهوة من فضلك.

- حاضر يا فندم.

يدق تليفون سالي المحمول:

- هاي دادي.

- هاي حبيبي، مبسوطين في شرم؟

- قوي قوي، يا دادي.

- طيب يا حبيبي، سلمي على لينده وبوسيها.

كانت سالي مسترخية على كرسي البحر الطويل وبجوارها لينده على كرسي مماثل،

تحت شمسية، ويرتديان مايوهات عارية، وغطت كل واحدة منهما نصفها السفلي بإيشارب شفاف.

والأمر بالنسبة لهما عادي جدًا لا ينكران منه شيئًا!

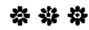
* * *

تجلس أم أمل بوسط الشقة على حصيرتها البلاستيكية بجلبابها وغطاء رأسها الأسودين، وتسند رأسها على يدها وتسند يدها على الطبلية بتفكير عميق في حال الأسرة، ويعمل بجوارها راديو قديم متهالك، ضبطته على إذاعة القرآن الكريم، ودائمًا عندما يعود الأولاد من المدرسة يغيرون التردد أو المحطة إلى إذاعات أخرى

حسب أهوائهم.

تنتظر بعد الانتهاء من الأعمال المنزلية المعتادة حتى تُباع الخضروات الطازجة ببداية النهار بأسعارها المرتفعة ليتبقى لها ما تبقى من شراء الناس، وكذلك كي يكون هناك هياكل عظم بها القليل من اللحم بالدجاج الذي يباع لحمه صافيًا ومخلي العظم للقادرين، كي تستطيع هي ومن هم على شاكلتها التسوق!

ربما تحظى بكمية كبيرة من الخضروات بدون ميزان لزهد البائعين فيها.



يدق باب الشقة، فتقوم أم أمل متكاسلة تفتح الباب، فتجد «أبو أمل» يحمل عدة العمل على كتفه مطأطئ الرأس والعين، فترمقه بنظرة حزن وشفقة سريعة، ثم تغير نظرة حزنها لألمه إلى ابتسامة خافتة، وتربت على كتفه بحنان:

- ولا يهمك يا اخويا، انت ياما اشتغلت وجبت، إحنا عايشين في خيرك يا أبو أمل.

فرغم أُمِّيَّتها، تعلم أنه لا شيء يكسر ظهر الرجل أكثر من قلة الحيلة.

يتجه أبو أمل إلى غرفته المتواضعة، وحين يضع أدوات عمله على الأرض، يسمع الراديو بصوت الشيخ عبد الباسط الدافيء المؤثر- يقول:

(ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم)

فيقول بحرقة جمر المكسور، ولسان حال المضطر رافعًا نظره خارج حدود سقف غرفته إلى عنان ورحاب السماء- قائلًا:

- يااااااااااارب.

ويفرد جسده على سريره، الذي اشتكت قوائمه من سنين استعمالها بالصوت وعدم الاتزان.

تستأذن إليه أم أمل للخروج.

- أنا كنت خارجة يا أخويا أشترى الخضار،

عايز حاجة؟

فلا يرد عليها وكأنه تماثل للنوم..

- نوم العوافي.

ثم تتركه وتنصرف.

وعند خروجها من المنزل تجد على الأرض عشرين جنيهًا بالطريق، فتلتقطها بسرعة دون أن تلتفت حولها، وتكمل طريقها وتقول سعيدة:

- ياما انت كريم يارب.

***

تقابل بالسوق شقيقتها أم عمرو، ويشتكيان لبعضهما البعض صعوبة الحياة والغلاء ومشاكل الأولاد.

أم أمل:

- واللا الست أمل هي كمان، اللي بقت واحدة فجأة، وما بتبطلشي بص لنفسها في مراية الحمام!

أم عمرو:

- يوووووووه، كل البنات كده يا أختي! ده رحاب بنتي من ساعة ما دخلت المعهد، ومش سايبه مراية في البيت إلا وتقف قدامها بالساعة! في الحمام دور وفي أوضتها دور، وأخبط عليها، ودي حاضر يا ماما، حاضر يا ماما،

دقيقة واحدة، وما بتخرجشي إلا بمزاجها.

أم أمل:

- وأبو عمرو اسم الله عليه، لسه برده بيشرب الهباب ده!؟

أم عمرو- بعد تنهيدة طويلة:

- ربنا يتوب عليه، ويرجع عمرو بالسلامة من غربته.

* * *

يتغير وجه الشيخ مصطفى من الأحداث التي رواها الهادي له

بحلمه الأول، ويقول:

- أيوه يا شيخ هادي، والليلة التانية حلمت إيه!؟

الهادي:

- اللي محيرني يا مولانا مش بس الحلم واكتماله بالليلة التانية!!

اللي محيرني أكتر انشغالي بالغرفة طول النهار! ورغبتي الشديدة إن الحلم يكمل!

ببعض من الغموض- قال الشيخ:

- مش يمكن انشغالك واهتمامك ده هو السبب إن الحلم اكتمل في الليلة التانية!؟

- أيوه يا مولانا، بس معقول إن حلم الليلة التانية يبدأ بترتيب للأحداث اللي انتهى الحلم الأول بالظبط عندها!! الحكاية دي ما بتحصلشي.

الشيخ مصطفى- بنظرة حنق ولوم:

- ولما انت عارف إنها ما بتحصلشي! ليه مجيتشي تحكي لي عن الحلم بتاع الليلة الأولى على طول تاني يوم، وأمنيتك وانشغالك إن

الحلم يكمل تاني يوم!؟

ببعض من الحرج- قال الهادي:

- أي شاب مكاني يتمنى كده، ولو بالأحلام.

ببعض من الحنان وقبول العذر- قال الشيخ:

- قص علي بقية الحلم يا شيخ هادي.

* * *

- بدأ الحلم بجلوسي جنب العروسة، والشيخ المهيب ده بيقول نفس الكلام!

بالطبع حفيد الشيخ جلال لازم يتجوز بنت الملك زعفران، أنا طبعًا كنت مبسوط جدًّا،

العروسة حلوة قوي يا مولانا!

بقليل من الغضب- قال الشيخ مصطفى:

- كمّل يا شيخ هادي.

- وبعدين الشيخ قال هاتوا كتاب العهود، ولمّا جه الكتاب، بدأ يقرأ بصوت عالي.

العهد الاول: يُشْرط الزواج بالقبول.

بص لي الشيخ ده بابتسامة خفيفة ووقار– وقال لي:

- أَقَبِلت الزواج بها يا هادي؟

فقلت له:

- قبلت طبعًا، يا ريت، وهو أنا أطُولْ!

العهد الثاني: يُمْنع عليه الزواج بأخرى.

برده بص لي وابتسم الشيخ، وقال لي بِوِدّ:

- أستتزوج غيرها؟

فقلت:

- مستحيل، إن شاء الله.

العهد الثالث: يلتزم الزوج سرية الزواج قدر المستطاع.

فتعجبت، وقلت للشيخ:

- وعُرْفي ليه!؟ وسرية وكده، إحنا نجيب مأذون.

بص لي باستنكار وتعجب– وقال:

- أنا المأذون، وعهد الزواج سرّي، موافق على العهد؟

فقلت له وأنا متحير ومتعجب:

- إنت حر!! موافق طبعًا.

العهد الرابع: يمكن أن تتغير العهود ويُحَل عهد الزواج بشروط العروس وأهلها.

فقلت بصوت مرتفع من شدة الرفض:

- لأ. العصمة في إيدها لأ!!

فقال الشيخ، ده آخر عهد عندنا كي تأخذ العروس إلى بيتك، موافق؟

فوافقت مضطرًا!

قال الشيخ مصطفى متعجبًا:

- وخدتها على بيتك يا شيخ هادي!؟

بخجل قال:

- أيوه يا مولانا، والنهارده كان أول يوم ما أصليش الفجر إمامًا !

الشيخ مصطفى حانقًا:

- ولسه !!

* * *

بعد انتهاءالعمل، يأخذ أبو حامد زميله الجديد خالد معه إلى البيت، وهو واثق أن صديقه كمال لن يخذله، وسيوافق على سكن خالد معه، وخاصة أنه يبدو عليه الفقر، وأنه شاب مجتهد وقادم من بعيد جدًّا، فسيكون الأمر بالنسبة لكمال عمل خير سيؤديه تجاه إنسان محتاج.

قبل أن يدخلا المنزل، أُذِّن لصلاة المغرب.

أبو حامد: تعالى نصلي بقى الأول يا عم خالد، وبعدين يحلها الحلال.

خالد: اتفضل.

أبو حامد: أنا متوضي.

خالد: ماشي، وأنا هآجي وراك.

وذهب باتجاه دورة المياه

وانقضت الصلاة، وأخذ يبحث أبو حامد عن خالد ببصره في جميع الاتجاهات فلم يجده،

فنوى لصلاة ركعتي السنة،

ثم خرج، فوجده بانتظاره خارج المسجد.

خالد: تقبل الله.

أبو حامد: منا ومنكم، بعد الصلاة دورت عليك في المسجد، رحت فين؟

- أبدًا صليت في الصف الأخير، وخرجت بسرعة.

واصطحبه إلى بيته، وأخذ يتحاور معه عن العمل وعن أصدقائه كمال وسامح والهادي، وبعد قليل نُودي على «أبو حامد»،

فخرج وأتى ببعض الطعام على صينية كبيرة،

طبقين من الأرز وطبقين من الخضار، وطبقين بهما دجاج، وبعضًا من المقبلات والخبز،

أبو حامد: ياللا يا خَلُّود عشان يبقى عيش وملح.

خالد: شكرًا يا أبو حامد مش هقدر خالص، أنا أكلت في البريك (وقت الراحة).

- إنت بخيل ولا إيه يا عم خالد؟

- مش قادر خالص صدقني، والأكل قدامي، لو عايز هاكل على طول.

- على راحتك، عمومًا البيت بيتك.

ويأكل أبو حامد الدجاج الذي أمامه مع بعض الأرز والخضار،

ويُنَادَى عليه: الشاي.

فيقوم أبو حامد ليأتي به.

فإذا بعظام الدجاج الذي أكله أبو حامد تُكْسَى لحمًا من جديد،
ويأكله خالد في لمح البصر، ويعود العظم إلى حاله

تمامًا، كما تركه أبو حامد.

أبو حامد: اتفضل الشاي.

خالد: معلش، ما بشربوش!

أبو حامد: إنت غريب قوي يا أخي، لا أكل ولا شاي من حقك يا
عم، ما انت سمبتيك خالص.

* * *

يدخل الليل بستره فتنشط كائناته،

يجلس أبو عمرو بالركنة الْمُعَدّة لجلسات المزاج

بِسُطوح العمارة، الذي يسكنه أحد رفقائه بالمزاج والعمل؛

لتجهيز عدة سهرة الكيف.

فقام بتغيير مياه الشِّيشة، بعد أن غسلها بالفرشاة لإزالة ما بها من صدأ الدخان، ثم جلس منتشيًا منتعشًا يقوم بتسليك الحجارة ورقاب الشيش بسيخ تقليب الفحم.

يلبس جلبابًا قديمًا، وطاقية خضراء بها بعض النقوش الحمراء، ومن حين إلى آخر يُعَدِّلُها على رأسه، كي تكون مائلة على جنب طوال الوقت، كعلامة للمزاج العالي والسعادة! وضرب الدنيا وما فيها ثلاثين صرمة.

فدائمًا أقل جلسات المزاج مشاركة مادية، يكون خادم الجلسة، دون أي عُقد، فلا يهم أي شيء بالنسبة للجميع إلا الانبساط والانشكاح، وضياع أي بقية من دماغ، ودائمًا يتكلمون عن الطيران، والتحليق بعيدًا عن الواقع، وأثناء ذلك التجهيز للعدة، يدخن أبو عمرو سيجارة حشيش

(مبطرخة) ويدندن بأنشودة، طالما سمعها من المعلم الصعيدي، زميله بجلسات الحظ، أخذها بدوره عن بلبل الصعيد الشيخ ياسين التهامي، ينشدها ويتراقص على إيقاعها، دون فهم لجمال اللفظ والمعنى، وبالطبع ما يَذْكُرُ منها:

- تملكتموا قلبي، وعقلي ومسمعي.

(يحتضن عدة الصهللة)

- قلبي وأحشائي وكلي بأجمعي.

ولما فني صبري، وقل تجلدي.

(يكررها لتذكر ما بعدها)، وحين تذكر، رقص كطفل يلهو بجنون- قائلًا:

- شكوت لقاضي الحُب.

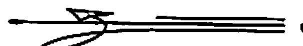
قلت أحبتي، جفوني.... جفوني.

ثم يتراقص عليها ويقولها بنفس طريقة زميله هكذا:

جاااااااافوووونى، جاااااااافوووونى

جفوني وقالوا أنت للحب مُدَّعى.

ثم لم يجد بهذه الكلمات ما يشفي جنون حالته! فأخذ يقوم بحركات بهلوانيه شبابية لا تليق بمن هم في نفس عمره، يتراقص منتشيًا بلحظة حظ وسعادة اختلسها من الزمن، ليس لها مثيل! تلك اللحظة التي تنتابنا أحيانًا دون سبب، وغالبًا منفردين، مغنيًا:



إيه الأساتوك ده، اللي ماشي يتوك ده

إيه ورد الجناين ده، اللي يصحّي نايم ده

كلمني كلم كلمني، فهمني فهم فهمني

إيه يا راجل انت ده، إيه اللي انت عامله ده

عيب عليك في السن ده، يطلع منك كل ده!

ويضحك ويسخر من نفسه، لا تحمله قدماه من لحظة سعادة حقيقية حتى وإن كانت مختلسة!.

* * *

يدخل الهادي غرفته مبكرًا جدًّا، بين خوف من كلمة الشيخ مصطفى التي لم يقل غيرها (ولسه!!)، وبين رجاء أن يكون مجرد حُلم، ويجلس على الأرض سعيدًا فهو ملتزم ولم يقترف إثمًا.

* * *

يذهب أبو حامد مع خالد إلى صديقه كمال، وبعد التحية والسلامات:

أبو حامد: خالد زميلي في الشغل من بني سويف.

كمال: أهلًا وسهلًا.. ومرحبًا.

يجلس الجميع بالغرفة الوحيدة المفروشة بشقة كمال.

أبو حامد: جينا واحنا متعشمين في كرمك يا أبو كمال.

- خير إن شاء الله.

- الأوضة الفاضية اللي في الشقة بنستأذنك خالد يسكن فيها لأنه من بعيد، وشغله هنا في القاهرة وهيدفع معاك في الإيجار.

- سيبك من الإيجار خالص، هدفعه كله بالكامل، لكن الأوضة فاضية خالص مفيهاش حتى سرير!

- يا سيدي بسيطة، مش لازم أوضة نوم سينيه (ماركة) يعني يا عم كمال، كل الحكاية سرير شعبي، وأنا هجيب لخالد بطانية من عندي، والراجل مش محتاج أكتر من مكان يفرد فيه جسمه بعد الشغل.

- والله لو الحكاية كده مفيش أي مانع، أهو حتى نِوَنّسْ بعض، بدل ما انا قاعد لوحدي زي قرد قطع كده.

خالد: متشكر قوي يا جماعة على كرم الأخلاق.

***

سالي ولينده يتسوقان بسوق الفندق لشراء ملابس تناسب السهر بصالة الديسكو، بالطبع يرتديان ملابس آخر موضة وكأنهما لا يرتديان شيئًا!!

بسبب شدة ضيق الملابس، والتصاقها على جسديهما ويزيد المصمم إبداعه الشيطاني، بتعرية الكثير من الجسد فذلك يُعجب هذا الصنف المتحرر من الناس.

يتكلمان بحرية وانطلاق وبصوت عالٍ،

ويضحكان ويستعرضان أنوثتهما بحرية مطلقة،

يتحدثان عن المطرب الأجنبي، الذي سَيُشْعل صالة الديسكو، رقصًا بأغانيه وموسيقاه العالية الصاخبة المجنونة،

ويقومان بتقليد حركاته.

* * *

يتماثل الشيخ مصطفى للنوم، ببداية الليل؛ كي يستطيع قيام جزء من الليل قبل أذان الفجر،

وقبل أن يسلم الروح بالموتة الصغرى (النوم)، يقول دعاء قبل النوم:

(باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، فإن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين).

***

بدأ النوم يرخي سدوله على الهادي، فأخذ يغفو بعينه ورأسه، ثم يفيق.

ثم يغفو ويفيق، حتى وقع على الأرض، فاستفاق وقام

إلى سريره لينام بعمق.

***

بدأ أصدقاء «أبو عمرو» بالحضور، وأول الحضور كان صاحب الغرفة فوق السطوح،

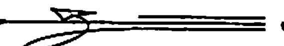
حَنّا السباك، كان بيده كيسٌ أسودُ به الكثير من زجاجات البيرة،

وحين وصوله وجد «أبو عمرو» قد أشعل النار وجهز

عدة السهرة،

فابتسم، وقال:

- يا مزاجوووو.



فرد عليه أبو عمرو بأغنية شبابية:

- يا مزاجووّوو، عااابد الهادى ى ى

يا دماغوووووو عاااابد الهاااادى ى ى.

ثم أردف قائلًا:

- أيوه يا مسلكنا جبت الميه.

- كله ع البيكو يا معلمي.

ما تسخن بحجر حاف كده احاااج، على ما التموين يوصل.

- عيني يا غالي.

وأثناء شد أنفاس الحجر الحاف، أي الخالي من الحشيش،

أتى باقي الفريق، فؤاد الكهربائي والمعلم حمودة الفرارجي والمعلم شِندي مقاول الأنفار الصعيدي وبنك التموين، وهو نفسه الذي أخذ عنه أبو عمرو بعض إنشاد بلبل الصعيد.

حنا: سلام كبير للمعلم شندي صاحب المزاج العالي قوي قوي يا جدع.

- بطل بَكَش بقى يااااد يا حنا، جَمّعْت فلوس الصهللة ؟

- كله في السليم يا كبير.

وهمس له في أُذُنِه،

ناقص خمسين جنيه بتوع خدمة الرجالة، خدها أبو عمرو.

شندي: تمام، فلتبدأ الصهللة.

***

دقت ساعة ديسكو الفندق تمام الثانية عشر، وأعلن معها الشيطان استقبال زواره ومحبيه.

تم تقديم المطرب الأجنبي المشهور مع تصفيق الجميع باليد والفم.

ثم بدأت معه موسيقى هادئة مشهورة يتم الرقص عليها ومعروف للجميع أن الموسيقى الهادئة لا تستغرق أكثر من دقيقة أو دقيقتين؛ كي يجتمع الجميع بالمكان المخصص للرقص.

وبمجرد أن بدأت الموسيقى إلا وطارت سالي ولينده

ليتوسطا حلقة المرقص!

وبدأت الموسيقى ترتفع وتنخفض حتى وصلت إلى أقصى حضور وارتفاع لها، يبدأ الجميع وخاصة الإناث في الصراخ.

أما الشباب فلا يتوقفون عن الرقص طوال الليل ويظهر كل واحد منهم قدرته على الاستمرار، وكذلك إمكانياته وإبداعاته بفنون الرقص.

والجميع في حالة سُكر وغياب عن الدنيا وما فيها.

والبنتان ترقصان بعنف، ويصرخان، ولا يعبآن بتحرك أعضاء جسدهما المثيرة، فلا يُلْقيان بالًا لذلك وينغمسان بحالة نشوة ومتعة لا توصف، مع غياب أي رادع لأي تصرف ويستمتعان بحرية مطلقة!.

وفي هذه الحالة من النشوة والشهوة والهيمان والهيجان وارتفاع الموسيقى، وحرارة الرقص يصرخان صرخة عالية جدًّا،

قد أخفاها وغطاها ضجيج الموسيقى ولكنها ليست كأي صرخة! ومع بداية انتهاء النصف الأخير من الليل، تعلو صيحات وصرخات الديسكو، ويتخلى الجميع عن صفاتهم الآدمية من هدوء ووقار، ويصبحون كشياطين تتراقص على مسرح المعصية.

***

بدأ الهادي في أحلامه الوردية، وانغمس في بئر العسل مع عروسه، متمنيًا أن يكون مجرد حُلْم، أو يضحك على نفسه بذلك! ولكن ما يُعَزّيه في حاله أن ذلك يحدث أثناء نومه

ولكن لا يحدث أبدًا حياة كاملة بكامل تفاصيلها مع زوجة وبيت في أحلامه! ولكن كومضات متقطعة،

لدرجة أنه وسط حُلمه الجميل يتذكر أن ما يحدث له دائمًا يكون بأحلامه، ووقت معايشته لأوقاته السعيدة، يحاول جاهدًا أن يستيقظ، ويستيقظ بالفعل فلا يجد أي شيء غريب.

وحده بالغرفة، وكل شيء عادي، وعلى طبيعته وبمجرد أن يغفو، تعاوده حياة أخرى، متصالح معها ولا ينكرها، بل أحبها عن حياة اليقظة التي حُرم بها من نصف حلو، ليس عن ضعف، لكن عن حاجة مادية.

***

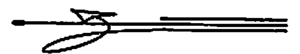
المعلم شندي يضحك بصوت عالٍ، بدون سبب ومن غير مناسبة!

حنا يبتسم، ويقول:

- ميا مسا، إنت وصلت يا كبير!؟

فؤاد:

- صُب يا أبو عمرو كوباية بيرة كبيرة، بشربها من عشرين سنة، وكنت فاكرها حرام ومنكر، والآخر طلعت حلال! وسمعت الشيخ بنفسي بيقول عليها حلال، وبيقول لك ما دمت ما اتسطلتش خلاص، وبيقول لك الحرام الخمرة اللي بتتعمل من عصير العنب بس.



أبو عمرو:

- يا رااااااجل معقولة حلال!!؟

طيب ما دامت حلال نشربها ليه بقى!؟ هي لذتها إنها تكون منكر..... ويضحك باستهتار.

يا عم حلال حرام، هو فيه حاجة في حياتنا كلها ترضي ربنا، إنت هتفوقنا واللا إيه يا عمو فؤاد إنت!

المعلم شندي يشد نَفَسًا بعُمق، ويكتمه، ثم يخرج الدخان الأزرق ليملأ المكان، ويحمر وجهه وجفونه، ويغني بصوت فيه شجن:

يا ليل يا ليلى يا ليلى يا يااااااا ليييييييييل.

يهلل ويشجع الجميع.

الليل فارش عبايته السوده لعشاجُه.

يميل ويتمايل ويتمخطر بأشواجُه.

لكل رااجل مجدع بأخلاجُه.

مضلل بجناحاته على بيته وعلى رفاجُه.

والصحبه حلوة وساعة الحظ مالهاش زىْ.

والراجل الخايب يهمل فى بيته

ويخدم على مزااااااااااااجُه.

يهتف الجميع ايييييييييه، انت بتقوول ايييييييييه

ويغني بطريقة أهل النوبة الجميلة:

حبيتك كتير جوى يا ولد عمى.

رحت اشتكيت حبك لابوى وامى.

جال لى ابوى لساك يا ولدى صغار.

روح ازرع جصب جنبه كمان اخضار.

وابنى لك مجعدين فوج سطوح الدار.

ومن عيونى الجوز أكلم اعمامك.

بهية لشندى تطفى نار شوجك.

حبيتك كتير جوى يا ولد عمى.

رحت اشتكيت حبك لابوى وامى.

***

(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون* ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون* إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) صدق الله العظيم

ذاك هو النبراس المبين للثقلين، والرسالة والأمانة العظمى، من أداها فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها

فالجن والإنس مكلفان بعبادة الله الواحد الأحد، وترك عبادة الطاغوت أو الشيطان، وذريته فهم كفرة الجن.

ومن سلك طريقهم فهو مثلهم شيطان سواء كان جنيًّا أو إنسيًّا.

وربما سأل سائل كيف يُعبد الشيطان من دون الله!؟ هو يوسوس بالشر فقط وللإنسان الاختيار.

* * *

المسلمون بصلاة جمعتهم بالمساجد، وأهل المعاصي لا يعبأون!، ينامون عن صلاة الجمعة بل لا يصلون أبدًا.

أبو عمرو وزوجته والدكتور مؤنس، غلبهم طول الأمل والتسويف، أما أبو أمل وأمها يؤدون حق ربهم ويخشون حدوده، ودائمًا تحب أم أمل سماع القرآن في بيتها خلاف أختها أم عمرو،

ودائمًا صلاح الآباء يعود بالنفع على الأبناء.

* * *

يقول الشيخ مصطفى من على منبره بعد جلسة الاستراحة والدعاء:

- أريد أن أَفْصِل بين الشيخ الصادق، والساحر المشرك.

الشيخ الذي يعالج بالقرآن، هو مَن يُشْهد له بحفظ كتاب الله، ويُشهد له بالصلاح، ويقرأ على من أصابه الأذى آيات من كتاب الله، ولا يقوم بعمل أي شيء خارق للعادة، ولا يأمر بتعليق تميمة أو حجاب أو الاعتقاد بأن أي شيء يضر وينفع إلا الله عز وجل، وأيضًا يؤمن بدور الطب النفسي ويدل الناس عليه، ويُعلم الناس أن الله عز وجل أمرنا أن نأخذ بالأسباب كلها، والشفاء من عنده وحده سبحانه.

أما الساحر هو من يَدّعي أنه يعالج بالقرآن، تجده لا يحفظ كتاب الله، ولا يصلي أمام الناس إلا إن اضطر لذلك وهو كاذب ويصلي للشيطان.

ولا يتلو آيات كتاب الله لمن يطرقون بابه، وخاصة آية الكرسي، ويفعل أشياء خارقة، ويسميها كرامات، ويطلب طلبات عجيبة كي يُعتقد بنفعها أو ضررها من دون الله، كأن يطلب مثلًا، ديكًا أسودَ، أو خروفًا برأس أسود، أو سمكة يتيمة بزيل أحمر!، أو شعرة سوداء من ذيل فرس وما شابه ذلك من الأشياء الغريبة! وذاك هو الشرك أو الكفر الغير مباشر، إن صدقه الناس وآمنوا أن هذه الأشياء وتسخير أو مؤاخاة الجن يضر وينفع من دون الله.

وما دون الشيخ الصادق والساحر الكافر سَمُّوهُ كما تشاءون،

دجال- نصاب- مشعوز- منجم، فكلهم كاذبون.

* * *

الشيخ مصطفى خريج كلية الشريعة جامعة الأزهر،

يتمتع بجانب كبير من العلوم الشرعية، يُبارك فيه تقواه وحفظه لكتاب الله.

يعيش وحده بعد أن تُوفيت زوجته، ولم يكن له نصيب من الأبناء، وكِبَر سنه جعله يزهد الزواج.

وكان له ميراث كبير تركه له والده بالقرية، بيت كبير وبعض الأفدنة من الأراضي الزراعية، باعه كله مثلما يفعل معظم من يعيشون بالقاهرة.

واشترى شقة حديثة وسيارة حديثة جيب 4 × 4

حمراء اللون، مظهرها رائع وعندما يُسأل عن ذلك من طلابه ومُريديه، يقول:

(قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق).

كل شيء جميل وحسن هو للمسلم، من قال إن المسلم لا يعتني بمظهره!

المسلم القوي خير وأحب إلى الله من المسلم الضعيف وفي كلٍّ خير.

والغني الشاكر خير من الفقير الصابر.

والمبذرين إخوان الشياطين، إن أُنفِقَت الأموال بغير موضعها، ولم تُخْرج زكاتها وصدقاتها.

أما أن يرتدي المسلم اللباس الحسن، ويركب الدابة الحسنة، ويعيش في البيت الحسن،لا شيء في ذلك أبدًا ما دام أدى حق الله في المال الذي استخلفه عليه.

وما تبقى من ميراثه وضعه في بنك إسلامي لا عن اقتناع وإيمان، ولكن إيثارًا للسلامة، فكثير من العلماء أفتوا بأن وضع الأموال في أي بنك حلال إن تم دفع زكاته.

***

يعود السائق من شرم الشيخ ومعه البنتان مستغرقتين بالنوم على الكنبة الخلفية للسيارة.

فكثرة المعاصي تُتْعِبُ الجسد، وتجعله يشيخ مبكرًا.

ولذا يتبع كل معصية نوم عميق! كي تستطيع خلايا الجسد أن تواصل ما أُكْرهت عليه من الخطايا، بسبب حرية الاختيار الذي ينعم به الإنسان، وصدق من قال:

(نوم الظالم عبادة)

فعلى الأقل أثناء نومه لن يقترف إثمًا

***

يركب الهادي السيارة الفخمة بجوار الشيخ مصطفى حيث يتجهان إلى المقطم لعمل جلسة علاج بالقرآن ببيت أحد أصدقاء الشيخ.

الهادي:

- الله يفتح عليك يا مولانا، الخُطْبة كانت جميلة وفيها معاني كتير مهمة ومفيدة.

- ويفتح عليك يا شيخ هادي، الوقت ما أسعفنيش إني أقول كل اللي عايز أقوله.

- ربنا ينفعنا بعلمك يا مولانا، حضرتك علمت الناس الفرق بين الشيخ الصادق اللي بيعالج حالات المس بالقرآن، وبين الساحر المشرك بالله اللي بيسخر الجن لأغراضه الخبيثة، لكن يا مولانا الساحر ده بيوصل لكده إزاي!؟ إزاي بيقدر يسخر الجن زي الخدم عنده!؟

- التمن غالي قوي يا شيخ هادي، الحكاية دي عرفناها من

السحرة التائبين، اللي ربنا هداهم للنور بعد ظلام الشرك وفتنة الشيطان.

- إزاي الساحر ده بيوصل للمرحلة دي، ده أنا كنت قربت أصدق إن السحر بتاع اليومين دول كله خفة يد وكده، معقول لسه فيه سحر بالمعنى ده! أنا عارف طبعًا إن السحر موجود ومذكور بالقرآن الكريم، من آيات السحر المعروفة.

- إيه يا شيخ هادي، الموضوع شدك قوي كده، اجتناب العلم اللي ما يفيدشي واللي يمكن يفتنك أفضل من معرفته.

- الحمد لله يا مولانا، أحفظ كتاب الله، وربنا هو الحافظ، لكن المعرفة خير من الجهل، وزي ما حضرتك علمتني إحنا أمة اقرأ، ده أمر رباني.

- ونعم بالله، ربنا يحفظنا من الشرك أصغره وأكبره، يبدأ الساحر بالقراءة في كتب السحر المحرمة زي شمس المعارف وغيره.

- ويتعلم إزاي يحضّر الشيطان الأكبر بقراءة طلاسم الشرك والكفر، اللي تخليه يحضر واللي بتحوي تفخيمه وتعظيمه، وجعله ندًّا لله عز وجل والعياذ بالله.

- ويحضر إليه بهيئة مهيبة، شيخ وقور بملابس بيضاء ولحية طويلة بيضاء، فيجعله يصل لمرحلة الكفر واحدة واحدة، من غير ما يشعر أو من الأساس هو عارف إن ده طريق الكفر والضلال، الأول يخليه يسجد لقبر ميت! خمستاشر يوم والعياذ بالله، ويوهمه إنه بقى من أصحاب الكرامات!

- والكشف، ويسخر له جني يجيب له الأخبار البسيطة، عن زواره ومريديه اللي بيلجأوا إليه كشيخ له كرامات! يقول الهادي متعجبًا:

- ده إيه الدهاء والمكر ده كله!

- طبعا يا ابني، الشيطان ذكي جدًّا، وبيقعد لابن آدم

ينتظر، وما يجيلوش مباشر أبدًا خاصة إن كان فيه ذرة خير، (قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم) - يعني بيجي لابن آدم حتى من مكمن الطاعة.

- وبعد كده لو أراد الساحر أن يرتقي

ويعلو شأنه، يأمره الملعون بالكفر الصريح بأن يعتزل الناس ويقعد لوحده أربعين يوم! من غير ما يستعمل الماء في الطهارة، أو النظافة.

- يا ساتر يا رب، أربعين يوم! من غير ميه.

- يأمره الخبيث بعد كده أن يقطع المصحف نصفين من منتصف سورة الكهف وينتعل بهما! بكل قدم نصف، نعوذ بالله أن نكون من الجاهلين، بل يجعله يمعن في الكفر، بتقطيع مصحف آخر، يفترش به المكان، ويقضي عليه حاجته، ويظل على ذلك لا يتطهر من بوله ولا من غائطه مدة الأربعين يومًا كاملة! حتى يصبح نتنًا قذرًا، بعد كده يأمره الخبيث أن يعود ويخالط الناس على أنه شيخ وله كرامات، ويأمره أن يؤدي بعض الأعمال الصالحة أمام الناس لخداعهم كقراءة سورة قصيرة أو الذهاب إلى المسجد، ويدخل بالصلاة مع المصلين، وبعد تكبيرة الإحرام المتفق عليها فقط،

يتلو طلاسمه التي يتعبد ويتقرب بها إلى الشيطان

ويكون التعامل بعد كده، خدمة مقابل عبادة! وصلاة يؤديها إلى إلهَهُ وسيده الشيطان والعياذ بالله.

- أعوذ بالله من كيد الظالمين، ده إيه المكر ده!

- بعد الكفر الصريح ده يجعل له الشيطان خدمًا من ذريته شياطين الجن ينقلوا له الأخبار، ويظهرون أعمالهم الشيطانية وكأنها كرامات، وقبل أي خدمة يدخل الخلاء لا ليتوضأ، بل ليتنجس! ويخرج أمام

الناس ليصلي، والظاهر للجميع أنه يصلي لله، ولكن يتمثل له الشيطان بأي صورة حقيرة، ككلب أسود أو قرد أو خنزير، فيسجد له من دون الله عز وجل، ويمعن الخبيث في إذلاله فيضع قدمه الخبيث فوق رأسه.

* * *

- الحمد لله، قربنا نوصل المقطم يا شيخ هادي.

- مولانا الموضوع كده فيه خلط وفتنة كبيرة، إزاي الناس تفرق بطريقة قاطعة بين الشيخ الصالح والساحر المشرك؟

- أنا نوهت عن الفرق بين الاتنين بالخُطْبَة.

- أيوه فعلًا يا مولانا، حضرتك عرفت الفرق بين الاتنين، لكن الناس تعرف ازاي إن ده شيخ أو ساحر؟ خاصة مع المكر والخداع اللئيم ده.

- آية الكرسى يا شيخ هادي، (الله لا إله إلا هو الحي القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما في السماوات وما في الأرض،......) صدق الله العظيم.

اللي يقرأ آية الكرسي، أمام الشيخ لا يحدث شيء لأنه بيعالج أصلًا بالقرآن، أما اللي يقرأها أمام الساحر، تُبْطِلُ سحره فورًا، بل يتركه كل خدامه، ويفرون هربًا! ولو تمت القراءة سرًّا دون جهر.

- سبحان الله.

فترة من الصمت يتأمل بها الهادي ويفكر بكلمات شيخه، وكذلك تركيز بالطريق من الشيخ مصطفى الذي فاجأ الهادي بعد برهة قائلًا:

- أخبار العروسة إيه يا مولانا؟

بابتسامة خجل يرد عليه الهادي:

- والله يا مولانا أنا مش عارف إيه الحكاية دي !

- لسه مش عارف!؟، هو الموضوع لسه أحلام؟

- أيوه نعم، هو هيتطور أكتر من كده؟

- طيب هي لسه بتجيلك في الحلم بنفس الشكل؟

- أيوه يا مولانا، كل ليلة، والغرفة بقت كل حياتي وكأنها مغناطيس! باعمل كل حاجة بسرعة عشان أقعد فيها أطول فترة ممكنة.

مستنكرًا قال الشيخ مصطفى:

- لسه مش فاهم يا شيخ هادي!؟

- والله يا مولانا أنا فاهم، بس مش قادر أصدق، هو ممكن ده يحصل؟

- ممكن يا شيخ هادي! بس لكل شيء مقابل، والقصة مش إنك مش قادر تصدق! إنت مش عايز تصدق.

عايز أنبهك إنها لو عملت ظهور كامل لك بالغرفة؛ هيكون صعب جدًّا بعد كده إنهاء الموضوع ده.

- وبعدين يا مولانا في الحكاية دي!؟ هي ممكن تظهر لي تمامًا في الغرفة!؟

- إنت الحكاية نفسها يا شيخ هادي، إنت مستمتع بالموضوع دلوقتي، لكن لو فكرت تتجوز إنسية زيك هيطيروا النوم من عينك.

- همَّا مين!؟

- هي وأهلها كلهم، هي مش عرفتك عليهم!؟

- لا ما حصلشي.

- لأ، حصل يا حبيبي قبل ما ييجي كتاب العهود وتوافق عليه، بسرعة نسيت!؟.

***

تتكرر قصة العشرين جنيه مع أم أمل، حتى أصبحت تجدها بأي مكان بشقتها، وتأخذها ولا تسأل!

فهي لا تعمل، وزوجها يعمل بشكل متقطع، وإن عمل يومًا يأتيها بكل ما اكتسبه من نقود.

أصبحت تجدها تحت الوسادة التي تضع رأسها عليها حين النوم وقت ترتيب السرير كل يوم.

اقشعر بدنها أول مرة، لكنها أخذتها كالعادة،

ولم تسأل من أين تأتي هذه النقود!

* * *

تستمر أمل ورحاب بالإعجاب بجسديهما أمام كل مرآة بالبيت!!تعرض كل منهما نفسها للجن الخبيث الذي يسكن دورة المياه، فدخول الخلاء له آداب من التزم بها حمِيَ نفسه وحمت نفسها من الخطر (أعوذ بالله من الخبث والخبائث)، ولكن أن تقف الفتاة عارية! بدورة المياه وتعجب بجسدها أو تتحسسه أمام المرآة؛ تكون بذلك عرَّضت نفسها فريسة للشيطان، ونزعت عن نفسها وبيدها الحصن والوجاء الذي يحميها منه بعدم اتباعها أدب استعمال دورة المياه، وليس شرطًا أن كل من تفعل ذلك تصاب بأذى، فمن تصاب بأذى هي من أُعْجِبَ بها الخبيث، وما لم تصب بأذى هي من عرضت نفسها رخيصة، ولم يحبها الخبيث، ولم يرض بها مجانًا!

أو ربما حالفها الحظ ولم يكن الخبيث موجودًا لحظتها، أو نفعها صلاح أحد أبويها أو كلاهما، أو لخير بداخلها سجنته داخل كلمة (سوف)، هذه الكلمة التي تحجب عن الجميع سرعة التوبة.

❊ ❊ ❊

يصل السائق فيلا الدكتور مؤنس، وتنزل سالي ولينده ويدخلان الفيلا بسرعة.

- دادي. دادي. دادي.

يناديان على الدكتور ويبحثان عنه بكل مكان حتى عثرا عليه بمكتبه الشيك، يلبس بيجاما حرير وعليها يلبس الروب، ويلبس نظارته المميزة الخاصة بالقراءة، تتدلى من جانبي العدسات سلسلة فضية تحيط برقبته، رغم أنه لا حاجة إلى السلسلة بنظارة المكتب! إلا إنه قد تعود على ذلك بكل نظاراته.

ينظر إلى البنتين بحالة من التوهان والشرود اللحظي فقد كان غارقًا في تأملاته، وما هي إلا لحظات قليلة حتى انتبه إليهما، وأخذا يتبادلان الأحضان والقبلات، كأب حنون مع بناته، ويطمئن كل منهما على الآخر، ويصفان له جنون الرحلة والاستمتاع بها.

وانصرفت كلتا البنتين كلٌّ إلى غرفتها، ليخلدا إلى النوم والراحة، من تعب الرحلة، وعاد الدكتور إلى تأملاته، وما هي إلا دقائق لا تتجاوز الثلاثين، حتى سمع صراخًا قادمًا من الدور الأول.

يفزع الدكتور مؤنس، ودادة الأولاد من صوت الصراخ، ويهرعان إلى الدور الأول حيث غرف النوم.

الدادة:

- حبيبتي!! استرها يارب.

وهي تصعد السلم الحلزوني الذي يتوسط الفيلا ويصل الدور الأرضي بالأول فقط.

ويسبقها الدكتور مؤنس بخطًا سريعة، حتى وصل إلى مصدر الصوت بغرفة سالي.

كانت سالي تجلس على السرير، وبجوارها لينده،

تركت غرفتها، وتقف على الأرض، ووجهها ناحية الحائط صامتة.

أما سالي فقد كان شعرها مبعثرًا جدًّا! وغير مصفوف كلوحة سريانية غير مفهومة المعالم، واختلطت دموعها بزينة العين السوداء، وأغرقت وجهها سوادًا غير منتظمٍ ويبدو منبعه من العينين.

حين رأت سالي والدها، صرخت بشدة وأخذت تضرب وجهها بكلتا كفيها بعنف! وأخذت تجرح وجهها بأظافرها الطويلة الحادة!

الدكتور مؤنس:

- اهدي يا حبيبتي، اهدي.

وجلس بجوارها يربت على كتفها برفق وحنان.

- أختك مالها يا ليندە!؟

وانتي كمان مالك واقفي ليه كده!؟

مالكوا يا ولاد!!؟

تلتفت ليندە لتنظر إلى أبيها بوجه عجيب غريب، ونظرة عين مخيفة، وزاد غرابة المشهد الصوت الغليظ الذي تحدثت به.

ليندە:

- أنا مش عايز أقعد في المكان ده، عايز أرجع الديسكو تاني، نادي السواق يا مؤنس!.

يتعجب الدكتور أين الرقه والعذوبة؟ وكيف تصف نفسها بالمذكر وتقول عايز مش عايزة وأين دادي!؟ كيف تخاطبني بمؤنس!!

تصرخ سالي وتضحك بأسلوب يُستنكر، وتقوم منتفضة من على السرير، وتقف على الأرض ترقص بعنف وتغني نفس أغنية المطرب الأجنبي.

الدكتور مؤنس كمتخصص نفسية وعصبية، يُصَبِّر نفسه أنه اضطراب عصبي بسبب صخب الموسيقى الذي توقع أنهما تعرضتا له، بسبب رقص وغناء سالي بعنف وأيضًا لعلمه بهوس بناته بهذا النوع الصاخب المجنون من الموسيقى.

وينظر لسالي، ويقول بابتسامة مصطنعة:

- جميل، جميل، برافو يا سالي يا حبيبتي،

ممكن تهدي شوية عشان عايز أتكلم معاكي.

فجأة تترك سالي الرقص والغناء وكأنها لم تكن تفعل شيئًا! وتستدير إلى الدكتور بنفس الوجه المرعب،

وتَصْفَعُهُ على وجهه بشدة؛

كَرَد فعل غير مُتوقع بالمَرَّة! قائلة:

- هو مش قال لك عايزين نرجع الديسكو تاني !

إنت ما بتفهمشي!؟

مؤنس أخذ الصفعة وذُهِل لما حدث، ولم يَحْتمل انتظارًا، جرى ناحية السلم إلى الدور الأرضي

ينادي على الطباخ والسفرجي، والدادة تجري من خلفه وتقول بصوت منخفض لا يسمعه غيرها:

- استرها يارب، اللهم احفظنا، اللهم احفظنا، البنات لبسهم عفاريت!

والبنتان تجريان من خلفهما في حالة هياج شديدة.

مؤنس:

- يا عم حسين، يا عم جرجس، امسكوهم واوعوا يفلتوا منكم ويخرجوا برّه الفيلا.

ويجري ناحية ثلاجة الأدوية الصغيرة بغرفته بالدور الأول، والتي يحتفظ فيها ببعض المهدئات، وخلاف ذلك من الأدوية والإسعافات السريعة التي يمكن أن يَحتفظ بها مَن هُم مثله من أطباء النفسية والعصبية.

وجهز حقنتين منومتين شديدتين، بإمكان الواحدة منهما أن تجعل جملًا ينام!

ونزل بهما بسرعة؛ ليجد البنتين تحاولان الهرب من حسين وجرجس، ويضربانهما بكل ما أوتيا من قوة، ولكن لم يوفقا في الإفلات من قبضة الخدم.

تقف الدادة مضطربة.

مؤنس:

- امسكي يا دادة الحقنة دي.

ويعطي الإبرة الأولى لسالي بذراعها بصعوبة بالغة

ويأخذ الحقنة الأخرى، ويعطي الدادة الحقنة الفارغة

ويعطي لينده هي الأخرى.

فيصبحان كَكُتْلَتَيْ لحم ثقيلتين، من شدة التراخي وعدم السيطرة وعدم القدرة على الوقوف!

فيحمل مؤنس والدادة سالي، ويحمل حسين وجرجس لينده إلى غرفتَيْ نومهما.

وبِحَرَج شديد، وغضب قليل، يقول مؤنس:

- كل واحد يروح يشوف شغله، البنات من السهر وتعب السفر أعصابهم تعبانة شوية.

كمحاولة منه لتشويش الأمر عليهم، وأكد ذلك أنه تكلم بطريقة تعبيرية تعني أنه غير مجبر لتفسير ما حدث من البنتين لهم.

ويغطي كل بنت بتأثر، ويغلق باب غرفتَيْ نومهما بالمفتاح بعد أن أحكم إغلاق النوافذ، فلا يعلم حتى الآن مدى خطورة الموقف.

بالفعل أصابهما مسٌّ شيطاني، وبالطبع ليس بالضرورة أن يحدث ذلك لكل من رقصت وتمايلت، أو حتى مشت بالأسواق كاسية عارية! ولكن من فعلت هذا تكون قد عرضت نفسها رخيصة بغير ثمن للجن! إن أرادها أحد ذكورهم فلم يمنعه عنها شيء، فقانونه يسمح له بأذاها، ما دامت هي لم تلتزم، فأكثر الأماكن التي يحدث بها أذى للإناث، دورات المياه والشواطيء والأسواق وصالات الأفراح التي يكون بها رقصٌ وموسيقى صاخبة، وربما يستبعد البعض إصابة البنتين سويًا في نفس التوقيت! ولكنه وارد الحدوث جدًّا، لجمالهما الطاغي، واستهتارهما، وللحرية المطلقة التي منحت لهما باختيار الملابس التي تكشف وتصف أكثر مما تغطي وتستر!

***

يجلس الشيخ مصطفى مهيبًا بصالون شقة صديق صباه الأستاذ يوسف، الذي يعمل موظفًا إداريًا بأحد المدارس وأحيانًا يحب أن يتحدث عن الفضائل مع الصغار، رغم صعوبة النطق لديه، مربي

أجيال فاضل، لكنه شديد الوسوسة والهواجس.

استقبل صديقه ومن معه وأجلسهما وذهب ليأتيهما بواجب الضيافة.

الشيخ يلبس ثوبًا ناصع البياض، وغطاء للرأس، طاقية بيضاء، عليها شال أبيض، وفوق الثوب عباءة بنية من الصوف، وزاد وقاره الشعر الأبيض الطويل الذي غلبت كثرته الشعر الأسود بلحيته،

ويُكمل الشكل النوراني هدوء وثبات كلماته،

وبجواره الهادي يلبس ثوبًا أبيضَ، وفوقه معطف جلدي أسود.

والصالون من الطراز القديم المذهب، وتوجد طاولة (ترابيزة)، من الخشب المذهب أيضًا وعليها قطعة رخامية بديعة، عليها لوح زجاجي سميك.

الأستاذ يوسف يدخل المطبخ ويحادث ابنته عُلا

الرقيقة، المحترمة، المحتشمة، متوسطة الجمال.

هذا الجمال المتوسط الذي جعل قطار الزواج يتغافل عنها للأسف، رغم خصالها الحميدة.

يوسف: أي أي أيوه يا عععغلا يا بنتي هَن هَن هَنقدم للششّشيخ إيه!؟.

هكذا يتحدث الأستاذ يوسف.

علا: أنا جهزت عصير وعملت كيك.

- مِش مش مِش واجب نعززم على الششّشيخ بغغغدا برده؟

- طيب يا حبيبي، خد العصير والكيك قدمه، والغدا كمان جاهز.

- ماش ماشي يا حبيبتي.

ويحمل العصير، وأطباق الكيك على صينية شيك لكن طرازها قديم جدًّا، ويدخل على الشيخ مصطفى والهادي ويغلق الباب خلفه، ويتقدم ليضع الصينية على الطاولة.

- إت إت اتفضلوا يا جماعة.

وَهَمَّ بالجلوس بجوار الشيخ مصطفى، وقبل أن يجلس يقول:

- هو، هو أنا قف قف قفلت الباب وينظر تجاهه.

* * *

الشيخ مصطفى: اجلس يا يوسف يا حبيبي والله الباب مقفول، بابتسامة فهو يَعْلم وسوسة صديقه.

- ها ها هاقوم أقول لعلا تجججججهز الغد غدا.

- اقعد بس يا يوسف، سيبك من الغدا دلوقتي واحكي لي إيه الموضوع، قلقتني على أم علا لما كلمتني في التليفون.

- والله يا شششيخ مصطفى من سا ساعة ما عرضت البيييت للبيييع، واحنا كلنا مش مرتاحين وأم علا أع أع أعصابها تعبت قوي فججججأة وبقت في دُن دُن دُنيا غير الدنيا.

- طيب قبل ما نسلم على الست أم علا، نادي على عُلا حبيبة عمو أسلم عليها.

ويبدو أن الشيخ له مأربٌ خفي وراء ذلك الطلب.

يوسف يفتح باب الصالون وينادي بصوت مرتفع:

- يا يا عُلا تَع تَع تعالي يا حبيبتي سَل سَلِّمي على عم عم عمك الشيخ مُص مصطفى.

- حاضر يا بابا.

وتذهب إلى غُرفتها للاطمئنان على حشمتها أمام المرآة بسرعة.

تدق باب الصالون وتدخل فَيَرى الهادي وجهها للوهلة الأولى نفس الوجه الذي يأتيه بأحلامه.

وتضع وجهها بالأرض خجلًا، وتقول:

- السلام عليكم، إزي حضرتك يا عمو عامل إيه؟ دون أن تمُد إليه يدها بالسلام،

يتعجب جدًّا الهادي، ويحملق بتركيز في وجهها،

يلحظ ذلك الشيخ مصطفى ولكن خجلها لا يجعله يتحقق مجددًّا من ملامح وجهها.

- إزيك انتي يا علا يا حبيبتي، عامله إيه؟

- بخير يا عمو، الحمد لله.

- طيب يا حبيبتي إن شاء الله دائمًا يا رب،

نادي لماما أسلم عليها.

وحين خروجها ترفع وجهها كي تدور وتنصرف، يرى الهادي وجهها أقبح من طبيعته، فيستعيذ بالله

صامتًا!

الشيخ مصطفى:

- يا يوسف هات لي أي ملاية سرير، وإن وقعت أم علا على الأرض غطيها!

ينظر يوسف إلى الهادي باستنكار.

الشيخ مصطفى:

- الشيخ هادي زي ابنى يا يوسف، وهو راجل محترم ويحفظ كتاب الله، ويساعدني في الجلسات، ويُردف قائلًا:

شيل يا شيخ هادي الترابيزة دي من هنا، اركنها على جنب.

- حاضر يا مولانا.

- كل الناس تتوضأ.

يذهب يوسف ويأتي ومعه أم علا متكاسلة مريضة لا تقوى على الحركة.

يقف الشيخ مصطفى والهادي؛ احترامًا للسيدة.

الشيخ مصطفى:

- خير يا ست الكل مالك يا أم علا؟ يوسف مزعلك واللا إيه؟.

وتجلس، فيجلس الجميع.

تنظر أم علا للشيخ مصطفى بقوة وبعين مفتوحة جدًّا، دون أن تتكلم.

- لا، واضح إنك مزعلها قوي يا يوسف.



- أبدًا والله يا مَوْ مَوْ مولانا.

قالت أم علا بصوت أَجَشّ لا يتناسب أبدًا مع مرضها وهي تنظر تلك النظرة المخيفة الصامتة منذ أن دخلت إلى الشيخ:

- إيه اللي جابك هنا، اطلع بَرَّه يا كلب !!

يوسف:

- عى عى عيب كده يا حاجة !!

يشير إليه الشيخ مصطفى: لا عليك،

- اقفل الباب، وينظر إلى أم علا، ويقول:

- حد برده يطرد ضيوفه يا حاجة؟

أُذَكِّر نفسي وإياكم ألا يغفل القلب واللسان عن ذكر الله.

وبدأ يتلو آيات الله بصوت مرتفع:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم

(والصافات صفًّا * فالزاجرات زجرًا* فالتاليات ذكرًا * إن إلهكم لواحد* رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق* إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب* وحفظًا من كل شيطان مارد* لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب* دحورًا ولهم عذاب واصب).

أم علا ترتعد وتُصْدر صوتًا بقوة، كأن شخصًا يختنق

بسم الله الرحمن الرحيم (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا)

تزداد رجفة وارتعاد أم علا، حتى إذا بدأ الشيخ مصطفى يتلو آية الكرسي،

فإذا بأم علا تقع على الأرض فيغطيها يوسف ويساعده الهادي.

يوسف: لا حول ولا قوة إلا بالله.

ينطقها مرة واحدة دون أن يُتَهْتِه

وفجأة وأثناء التلاوة ترفع أم علا الغطاء بقوة، وتقذفه بعيدًا، ويختفي الضعف والوهن، وتقف أمام الشيخ مصطفى وهو جالس على مقعده، بوقاره وهدوئه لم يتحرك له ساكن.

أم علا: أنا مش هسيبها أبدًا، وأنت مش هتقدر تعمل أي حاجة.

(تقولها بقوة وبصوت متحشرج)

ينظر الشيخ مصطفى إلى عين الجني بقوة واستخفاف، من خلال النظر بتركيز في عين أم علا:

- طيب إنت عايز منها إيه؟

- مش هسيبها لحد ما يسيبوا البيت ويمشوا منه!

- ألا تعلم أن الله لا يحب المفسدين؟

- أنا ما أعرفشي الله بتاعكوا ده! أنا عارف جدي بس.

- جدك إبليس مش كده!؟ إيه مصلحتك انت إنهم يسيبوا البيت؟

- مصلحة الساحر، أنا خادم عنده!

ثم تعود أم علا لطبيعتها، وتقول للشيخ بصوتها الرقيق أهلًا وسهلًا، إزيك يا شيخ مصطفى، وتحرك برفق رأسها يمينًا ويسارًا، وتجلس على المقعد، ولا تنكر شيئًا، وكأن شيئًا لم يحدث منذ قليل.

- رددي ورايا يا ست أم علا.

أشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله.

يوسف:

- تعالي يا أم علا أوصلك عَشْ عش عشان تِس ْتس تستريحي.

تقوم أم علا متثاقلة وتمشي بِوَهَن تتحامل على شريك عُمرها، كما تمسك العروس بيد زوجها:

- هات كوباية ميه كبيرة معاك يا يوسف.

- حا حا حاضر يا مو مو مولانا.

الشيخ مصطفى: إيه رأيك يا شيخ هادي؟

- الأمر واضح يا مولانا، حضرتك شفت الأستاذ يوسف قال من ساعة ما فكرنا نبيع البيت وكلنا مش مرتاحين!

وفي الجلسة نطق الشيطان على لسان ست الحاجة إن المصلحة مصلحة الساحر، واضح إن فيه ملعون سلط شياطينه على أهل البيت عشان يشتريه بتمن بخس.

ينظر إليه الشيخ مصطفى باستنكار، فهو بالتأكيد لم يكن يقصد بسؤاله، إيه رأيك؟

كُل ما ذَكَرَهُ الهادي، فهو شيخه وأستاذه وأعلم منه بكل ما قال، واضح أن الهادي لا يفهم ما بين الكلمات من فَحْوَى أو عَطَّلَت مَدارِكُه قوة خفية.

يدخل الأستاذ يوسف قائلًا:

-إت إت اتفضل يا مولانا.

- يزيد فضلك يا أبو علا، تعالى اقعد هنا جنبي.

اقرأ على الميه دي يا شيخ هادي.

أخذ الهادي يتلو آيات الله على الماء بصوت منخفض.

الشيخ مصطفى:

- شوف يا أستاذ يوسف إنت أخويا وصديقي

- أك أك أكيد يا شيخ مصطفى، مِش مش مش محتاجة كلام.

- المكان اللي بيُذكر فيه الله، لا تقربه الشياطين.

دايمًا شَغَّل سورة البقرة في الشقة، وأهل البيت كلهم يصلوا كل صلاة في وقتها.

ما تحطش صور على الحيطة فيها ناس أو حيوانات، وكمان لو فيه تماثيل اتخلص منها.

خلي لك كل يوم ورد من الذكر وقراءة القرآن.

ينظر إلى الهادي، ويقول:

- خلصت قراءة يا شيخ هادي؟

- أيوه يا مولانا الحمد لله.

يتلو الشيخ مصطفى أيضًا على الماء، ثم يقول:

- المية دي مباركة بآيات الله، اِسْقِ منها الست الحاجة، وإن شاء الله هيكون فيه جلسة تانية،

إيه حكاية بيع البيت دي يا أستاذنا؟

يوسف:

- البيت أصله خلا خلاص، آيل للسقوط، ففك ففكرت أبيعه، أر أر أرض، وند وندفع من تمنه خلو رج رجل للسكان، كل واحد يشت يشتري له شقة جديده متواضعة، وانا كما كمان أش أش أشتري شقة والباقي، أش أشيله للزمن.

والمُش المشتري، يهده ويبني مكانه برج وهو كم كمان يس يس يستفيد.

الشيخ مصطفى:

- تمام، وطبعًا عرضت البيت على أكتر من سمسار

- أى أيوه، وفيه سم سم سمسار جاب رجل أع أع أعمال، ومقاول، والبيت جاب سعر كويس، ان ان انت مش مش غريب جاب تلاتة مل مل مليون جنيه.

وكان فيه عرض كده من رج رج رجل طيب، ساكن جنبنا هنا أول الشارع اسمه الشيخ عطوة عرض تم تم

تمنميت ألف جنيه!

- طبعًا هتبيع لرجل الأعمال أو المقاول؟

- يا ريت يا مص مصطفى، الاتنين طاروا من من غير سبب مفهوم!

بنظرة إنكار عدم فهم يوسف حتى الآن، قال الشيخ مصطفى:

- والشيخ عطوة ده إمام مسجد، ولا شيخ ازاي يعني!؟

- ده رج رج رجل طيب كده، وله كر كر كرامات لما أم علا تعبت أخدتها عنده، بس الكر كر كرامات جت لحد عندنا ووقفت! أم علا لسه عيانة زي ما شفتها،

قلت أكلم بقى الإس إس استشاري أخويا، وحبيبي الشيخ مص مصطفى.

- الشفاء من عند الله

- طيب يا يوسف سيب الموضوع

ده على الله، ثم عليَّه.

واستأذن بالانصراف، وانطلق هو والهادي، وعلما مكان سُكنى عطوة، وعزم الشيخ مصطفى تخليص صديقه يوسف من مكائد هذا الرجل الخبيث.

***

بطريق العودة، ينشغل الهادي وهو بداخل السيارة مع شيخه مصطفى بحكاية الأستاذ يوسف، وحديث الشيخ مصطفى عن الساحر ومكره، يتذكر قول شيخه، الساحر يقسم المصحف نصفين، من منتصف سورة الكهف، فيقول:

- إيه الآيات اللي في نص سورة الكهف يا مولانا؟

- انت كمان نسيت القرآن يا شيخ هادي

- لا والله، بس.....

ولا يكمل الجملة، ويخرج المصحف من جيبه، ويفتحه على منتصف سورة الكهف، فيجد الآيات التي تدل على عدم توفيق الساحر، والتي إن قرأها ربما أعاد النظر، وربما علم أن تلك الآيات تمزق صدر الشيطان، ولكن من أراد الضلال يضله الله، ومن بحث عن الهداية هداه الله كما يقول رب العزة سبحانه (ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها)، منتصف القرآن ومنتصف سورة الكهف يحوي هذه الآيات الكريمة.

(وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلًا * ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدًا * ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقًا *ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفًا) صدق الله العظيم.

- شفت يا شيخ هادي، اللي بيعمل جريمة دايمًا بيحوم حواليها، آيات السجود لآدم، وفسق إبليس، وعدم انصياعه لأمر ربه، وشوف الإعجاز الرباني في قوله سبحانه (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني)

وكأن رب العزة يوجهها لعبادة الذين ضلوا، من السحرة الغاوين الذين اتخذوا الشيطان وذريته أولياء من دون الله.......... وكأن الشيطان أيضًا يَسْخر من الساحر لجهله بكلمات ربه سبحانه.

هذه الآيات بالذات هي التي يأمره أن ينتعل بها!

نعوذ بالله أن نكون من الجاهلين.

* * *

يعلم الدكتور مؤنس أن تأثير الحقنة يستمر ثَمانِ ساعات، لكنه كأب لا يستطيع الصبر إلا أن يطمئن على بناته كل ساعة، يفتح الأبواب فيجدهما غارقتين في النوم.

ما أصعب أن يصاب الابن أو الابنة بأذى، كل إنسان يريد أن يهب السعادة لفلذة كبده، يرى به نفسه وامتدادًا لحياته، فأن يشاك الابن بشوكة فقط يريد الأبوان أن يتلقياها بدلًا منه، وما أصعب أن تكون الإصابة بنفس تخصص الأب، فليس بالأمر السهل أن يقوم جراح بعملية جراحية لابنه، كذلك الحال بالنسبة لمؤنس، هو أستاذ كبير بعلوم النفس والأعصاب، وأيضًا من الصعب عليه أن تصاب أحد بناته أو كلتاهما بأذى، وفي وقت واحد، ذهب يقلب في ذهنه عن السبب، هل قصر في حق لهما، أم أن فقدان الأم هو السبب، أم أن خوفه من التقصير جعله يعطي بلا تعقل؟، وبدأ يبحث عن تشخيص يتناسب مع ما ظهر من أعراض.

***

يجلس خالد على الأرض بغرفة كمال يتسامر معه

خالد: حضرتك منين يا أستاذ كمال؟



كمال: من المنيا.

- من المنيا وجاي تعيش وتشتغل في القاهرة!؟

- طيب ما انت كمان يا عم خالد من بني سويف وجاي تشتغل وتعيش في القاهرة، أكل العيش بيحكم. (بابتسامة تعجب)

- لكن حضرتك أكيد متجوز وعندك أولاد.

- أنا مُطَلَّقْ وعندي ولد واحد.

- ربنا يخليهولك، دايمًا الأولاد هي اللي بتتظلم لما بيحصل طلاق.

- أول كل شهر ببعت لهم كل اللي همَّا عايزينه.

- يا أستاذ كمال الفلوس مش كل حاجة.

دي مهما كانت أم ابنك، يعني كان فيه بينكم في يوم من الأيام عشرة ومودة، وأكيد انت كنت بتحبها، وإلا ما كنتش اتجوزتها، افتكر أيامك الحلوة معاها، افتكر يوم ما ابنك اتولد، لما كنت بتلعب معاه وتحن على زوجتك، لما كنت بترجع من الشغل تلاقيها منتظراك، وعملالك الأكل اللي بتحبه، المصارين في البطن بتتخانق يا راجل، وكل المشاكل بتحصل بسبب تدخل الناس وخاصة القرايب، قوم

يا راجل قوم، كلم مراتك في التليفون واسمع صوت ابنك زمانه وحشك، الست في الآخر مالهاش غير جوزها، والوقت اللي فات كفيل يخليها هي كمان أكيد عايزه تكلمك وترجع لك، وإن ما كانشي عشان خاطرها يا أخي، يبقى عشان خاطر ابنك حبيبك، إنت عايزه يتربى بعيد عنك، واللا عايز واحد غيرك يربيه، ويقول له يا بابا!

أقنعه تمامًا أن يحادثها تليفونيًّا ليطمئن عليها وعلى ابنه، ولربما رجعت المياه لمجاريها.

ويذهبا سويًّا إلى كابينة تليفون بالشارع، فمازال التليفون المحمول منتشرًا على استحياء كان ذلك في منتصف تسعينيات القرن الماضي.

يتكلم كمال ويلقنه خالد كلامًا معسولًا طيبًا.

حتى أتاه نداء سيده، فيطير إليه في بني سويف!

كمال يضع سماعة التليفون متعجبًا من نفسه، وكأنه كان مسحورًا، ويبحث عن خالد فلم يجده، فيقول:

- هو راح فين ده يا أخويا!؟

***

يقرأ شِحْته طلاسمه أمام المبخرة المشهورة، فيحومُ فوق رأسه خالد بهيئة أخرى.

شِحْته:

- اتأخرت ليه يا فروز عن النداء، وتعالى هنا قدامي عشان أعرف أكلمك.

خالد أو فروز:

- نفذت طلبك، وكنت مع كمال وهو بيكلم أم ابنه.

- خليه يكرهها تاني، وابعده عنها مرة تانية، وفهم صاحبه الهادي إن جوازه ده عادي، وإنك زيه كخالد متجوز جِنِّيه إنت كمان!..........

ولو ما كملشي معاها زي ما احنا عايزين، عرفه مكاني،

عايزه يجيني راكع، عشان أخلصه منها، وطبعًا انت عارف بقية الخطة.

حقًّا هي عصابة الشيطان، ومجالسه الإدارية بكل مكان، الساحر شحته في بني سويف يعرف الهادي بالقاهرة، ويعرف شيخه الذي يعالج المس الشيطاني بالقرآن الكريم، يعلم أنه لن يقدر على فتنة الشيخ مصطفى، فعلمه سيده الشيطان أن تلميذه الهادي أضعف، ويمكن فتنته!

- والثمن، دفعته لسيدك؟

- دفعت جزء، وهقوم أكمل حالًا، وأصلي لصاحب العزة.

- مش هتحرك من مكاني لحد ما أشوفك بتصلي لسيدك.

وحين رآه يفعل ذليلًا، وبعد انتهائه من الصلاة الملعونة،

انصرف مسرورًا قائلًا:

- زوجة كمال هتجيلك بُكره، بكل الفلوس اللي طلبتها منها، قرينها بلغني دلوقتي إنها نوت على كده، بعد مكالمة كمال الحنينة، وكمان هتجيب لك أكل حلو من بتاع الفلاحين.

(شحته يسجد لسيده الشيطان من فوره!)

سُحقًا له من مال! وسحقًا له من سيد ملعون!

***

ووسط هذه المصائب، يستعرض الشيطان الأعظم انتصاره أمام أبنائه في مكان حالك الظلام والظلم.

ويلف بللورة الكرة الأرضية الشفافة المضيئة الوحيدة بالمكان أمام خفافيشه!

يستعرض زوجة كمال وهي تؤمن وتعتقد في الأعمال والسحر وتوهم نفسها، وتقدم القرابين للشيطان وتنادي وسيطه بالشيخ شحته!

ويُظهر الهادي واتباعه لشهواته وتغاضيه وغفلته عما هو قادمٌ إليه، وعدم إبلاغه لشيخه في الوقت المناسب ويُصَبر نفسه، أنه لن يمسه السوء، ولكنه يدخل محراب الشر دون أن يدري، فلن يخلصه شيخه من هذه الزيجة؛ لأنه لا يريد الخلاص!

وأمل ورحاب وإعجابهما بجسديهما أمام كل مرآة ويَعْرضهما على أبنائه غنيمة!

وأبو عمرو واستهتاره وتأكيد وصوله لا محالة لطلاق زوجته أو السجن وإن طال الحين.

وابنتي مؤنس، بل وشحته الساحر نفسه في بني سويف ورفيق دربه ساحر المقطم، من يريد شراء بيت يوسف بثمن بخس؟.

ويخرج إلى نطاق أوسع من تلك الحدود، ويُظْهر النساء الكاسيات العاريات ومن يتبعهن من شباب ضائع بالشوارع،

وآكلي الربا ومال اليتيم.

ويُظهر مسجد ممتلىء بالمصلين، فيختفي الجميع ولا يظل خلف الإمام إلا خمسة أفراد! يتوزعون بأرجاء المسجد، فقط هم من يركزون بالصلاة ولا تشغلهم الدنيا.

وأحيانًا يختفي الإمام،

وكل مَن يختفي يذهب إلى من شغله عن صلاته فلا معنى لجسده فقط بالمسجد بالنسبة للشيطان.

ويشير إلى أبنائه: عليكم بهؤلاء الخمسة.

ويخرج من نطاق المكان والقصص القصيرة إلى نطاق أوسع إلى الدول والحكومات!

فَيُطلع خفافيشه على كرسي السلطة العظيم المذهب ويطلب منهم أن يتعلموا عظمة سحره، لأنه أعظم من سحرهم وشرهم!

ويوجد خلف الكرسي العظيم، علم أكبر دولة بالعالم

ثم يُريهم كيف يسجد لهذا الكرسي، ولذاك العلم ملوك ورؤساء بني آدم.

ويجلس منتشيًا على ذاك الكرسي الكبير، ويسجد له عظماء بني آدم دون الشعور بوجوده!

فأي سجود لغير الله شرك وسجود للطاغوت،

بدلًا من أن يسجد هو لأبيهم آدم،

فيقف الشيطان الأعظم ويحسو التراب على رؤوسهم

ويُنشد بفخر وشعور بالانتصار، ولكن بحسرة داخلية تقتله، لا يشعر بها غيره وكل من يعرف ولا ينسى من أبنائه

المصير الحتمي لهم جميعًا، هُم ومن اتبعهم من الغاوين.

وأثناء سجود رؤساء وملوك بني آدم لسيدهم الشيطان متمثلًا في كرسي السلطة الساحر وعلم الدولة العظمى

بهيئاتهم الفخمة ولباسهم الوطني، كلٌّ حسب وطنه

ينشد الشيطان أنشودته التي لا يمل منها:

* أَسْجُد لآدم لا *

* النار لوحدي لأ *

* منها خلقت أنا *

* والطين والوحل لأ *

* أنـا الـمـلـــك *

ويتذكر في نفسه الملك الحق، فيقول بخذلان وصوت منكسر وضعيف ومنخفض:

❊ وغير الملك لأ ❊

يزيد نشاط أبنائه، فيحلقون فوق رأسه ويدورون بسرعة وكأنهم يهنئونه لانتصاره، ولكنه كان يقصد ملك الملوك، رب العزة سبحانه، بقوله وغير الملك لأ.

فمهما طغى الملعون وتكبر، ومهما غوى وتجبر، فيعلم يقينًا حجمه الطبيعي، ويعلم ما ينتظره من وعيد، ويكمل أنشودته فيشير إلى أبنائه، ويقول:

❊ إنت، إنت عملت إيه ؟ ❊

❊ جعلته يكذب ويسرق ❊

❊ وانت، إنت عملت إيه؟ ❊

❊ جعلته يشرب خمرًا ويزني ❊

❊ وانت، إنت عملت إيه؟ ❊

❊ جعلته منافقًا ولا يصلي ❊

❊ وانت، إنت عملت إيه؟ ❊

❊ القتل يا سيدي الملك ❊

❊ وانت، إنت عملت إيه؟ ❊

❊ طلق زوجته أم عياله ❊

❊ أمممم أنت أنت ولا أحد إلا إنت ❊

❊ تعالى هنا اجلس بجواري يا ولدي ❊

❊ اجلس بجواري فأنت ابني حقًّا ❊

❊ أسجد لآدم لأ، النار لوحدي لأ ❊

❊ ❊ ❊

وأشرقت الأرضُ بنور ربها، وأتاها الغيث من سحائب الرحمة، يغسلها وينقيها وينعش زروعها وورودها،

ويُجبر كسر شقوقها، وأتى البرق والرعد يرهبان قلوب جِنها وإنسها،

ويخطفان انتباه طفلها البرىء الطاهر، الذي لا يعلم للخطيئة معنى.

يقف طفل بروضة الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة يراقب ذاك المشهد البهي.

ويمسك بستارة المنور الزجاجي، الذي يصل السقف بالأرض والذي صُمم خصيصًا

لدخول نور الشمس ودفئها، وعلاجها، وكذلك ليستمتع الأطفال بإطلالة الورود والزروع المنسقة

دون عناء النافذة.

الطفل يضحك بهستيرية، ويمسح بيده على الزجاج ظنًّا منه أنه يستطيع مسح هذه النغمشة، التي اعتقدها من الداخل!

أو ربما ظن أن مسحه بيده من الداخل، يمحو ذلك الأثر من الخارج!

وكلما زاد تراشق الماء على الزجاج يزداد ضَحِكُه.

وتجمع حول كل منور ثلاثة أطفال، وتدور عليهم سَحَر (أخت سامح صديق الهادي)، بسعادة لا توصف فإذا ضحك مثل هؤلاء، تضحك الدنيا كلها لضحكتهم وبراءتهم

تنحني سحر كي يصل فمها لأذن الطفل وتهمس إليه بِوُدٍّ وتركيز:

- مَ، طَرْ، تنطقها هكذا متقطعة مرتين مَ - طَرْ

فيرددها الطفل مثلها بهمس مقلدًا إياها

- مَ، ضَر.

سحر تكررها، محاولة إظهار حرف الطاء أكثر:

- مَ، طَر.

الطفل يردد:

- مَ، ضَر، مَ، تَر.

تقف سحر كي تُسْمِع جميع الأطفال وتنطقها بصوت مرتفع وتشير إلى الزجاج،

يرددها خلفها الأطفال:

- مَ، ضَر.......... مَ، دَر.

تبتسم سحر لهم، وتعيد نطقها وإشارتها للزجاج

يكررها الأطفال بسعادة:

- ما، ضر.. ما- در.. ما- طر.. ما- در ما- زر

كلٌ حسب ما وصلت إليه كيفما سمعها..

تفتح سحر النافذة، يدخل الهواء والمطر،

يخاف الأطفال، ويبتعدون ويجتمعون بركن بعيد،

تلتصق سحر بالنافذة وترفع يديها عاليًا وللخارج وتتلقي الهواء والمطر بسعادة وجرأة تريد

أن تنقلها للأطفال،

وأخذت تردد الكلمة بابتسامة وقفزات

يعجب ذلك الأطفال، فيتجمعون حولها ويقلدونها،

وأخذ الجميع يضحك ويقفز ويكرر كلمة مطر.

وما إن علموا جمال الاسم والمعنى، أغلقت النافذة خوفًا عليهم من البرد، بلمسة إنسانية جميلة

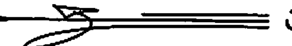
منها، وأخذت تجفف وجوه ملائكة الرحمة بالمناديل الورقية.

* * *

رجع الهادي إلى منزله، فوجد الحاجة وأخته أم أمل يجلسان بوسط الشقة.

الهادي: السلام عليكم.

- وعليكم السلام ورحمة الله.



- أم أمل عندنا!، يا مرحبًا، يا مرحبًا.

على عجلةٍ من أمره، حتى لم يسلم عليها بيده، واتجه ناحية المطبخ.

- ازيك يا شيخ هادي، مش ناوي تفرحنا بقى وتتجوز.

- أتجوز!! عندك عروسة يا أم أمل؟

وهو يصنع سندوتش داخل المطبخ بسرعة، ويرد عليها بصوت مرتفع كي تسمعه.

الحاجة:

- يا ابني تعالى استريح، وأنا هقوم أحضر لك الغدا

- لا يا حاجة عايز أنام شوية.

ودخل غرفته.

- أهو زي ما انتي شايفة كده يا أختي، على الحال ده من مدة طويلة الأوضة (الغرفة) بقت حياته كلها حتى الكلمة، بقت من النوادر بيني وبينه.

- ربنا يكون في عونه يا حاجة، شاب برده واللي زيه عنده عيل واتنين.

- عيني عليك يا ابني، العين بصيرة والإيد قصيرة، حاله واقف يا بنتي زى البنت العانس.

- بنت عانس إيه يا حاجة!! ده زينة الشباب، إيه رأيك في سحر أخت سامح صاحبه؟

- زينة العرايس يا بنتي، أدب وذوق وجمال ومتعلمة، بس إنتي عارفة البير وغطاه.

- ربك يسهلها يا حاجة.

يسمع الهادي حديث أمه وأخته من غرفته، ويبتسم بسخرية من نفسه، ومن أحلامهما وينهي طعامه ويشرب من زجاجة المياه، التي لا تفارق مكتبه المتواضع الذي وضع عليه المصحف، وبعض الكتب الدينية.

ويمتطي صهوة سريره، دون غطاء، وكلمات الشيخ مصطفى ترن في أذنه (ممكن تعمل ظهور كامل لك بالغرفة)

وهو بين منكر ومصدق، ولم يُلق بالًا لباقي ما قاله الشيخ!، وما بين اليقظة والنوم رآها رأي العين تبتسم له وتقول:

- صاحبك الشيخ مصطفى عايز يجوزك عُلا!؟

والحاجة عايزه تجوزك سَحَر!!

همَّا مش عارفين إنك متجوز؟

يتعجب الهادي من ذلك، ويوغز نفسه بقوله:

- هو أنا صاحي واللا نايم!؟

ويجاهد نفسه للتأكد من ذلك، ويفتح عينيه ويستيقظ تمامًا، فلم يجد غيره بالغرفة، ورغم اعتياده عليها إلا أنه فزع هذه المرة!

فلم يتوقع ظهورها أمامه أبدًا، حتى بين اليقظة والنوم

وقام مسرعًا، ووقف على السرير كاد أن يضرب رأسه سقف الغرفة، واستجمع شجاعته، وثقته بنفسه ولكن قلبه يرتجف خوفًا، لكنه تشبث بإيمانه وقال بجرأة، وبصوت مرتفع:

- طب وبعدين!!

خلاص،

لو انتي هنا اظهري أنا مستعد..........،

فلم يجبه أحد.

❊ ❊ ❊

انصرفت أم أمل، وسمعت الحاجة الهادي يتكلم وحده بالغرفة، فقالت بعجب:

- يا حزني؛ الواد هيتجنن واللا إيه!؟

وخرج الهادي من الغرفة، واتجه لدورة المياه كي يتوضأ.

- ما نمتش يعني يا شيخ هادي!؟

- هصلي ركعتين، وأقرأ شوية، وهنام على طول يا حاجة.

- إنت كنت بتقول حاجة يا شيخ هادي وانت في الأوضة؟ سمعتك بتتكلم بصوت عالي.

- لا يا حاجة، انتي سمعتيني باقول إيه يعني؟

ويتركها ويدخل غرفته دون أن يهتم.

افترش سجادة الصلاة، وبدأ يصلي بخشوع، ووقفت هي خلفه بملابس صلاة محتشمة، وكأنها تصلي معه.

هو يشعر بوجودها، ولكنه احتمى بالصلاة، وبعد أن انتهى، أخذ المصحف دون أن يلتفت خلفه، وهي تبتسم من اضطرابه، وأخذ يقرأ بتركيز وانفعال، بين الخوف والرجاء والاضطراب والاحتماء بكتاب الله.

يده ترتعد ووجهه يتصبب عرقًا، وكساه اللون الأحمر،

ولم يتوقف عن القراءة حتى أخرج زفيرًا بتنهيدة عميقة وشعور مؤكد بالاطمئنان لعدم وجودها معه بالغرفة.

وبلحظتها هي تنسحب بهدوء وتتلاشى، لتأكدها أنه ليس مهيئًا لهذا بعد.

***

استيقظ الدكتور مؤنس مرهقًا ينظر في ساعة يده، إنها السادسة صباحًا، لم ينعم بالنوم طوال الليل، قلقًا على ابنتيه وظل يقرأ بكتبه حينًا، ويطمئن عليهما حينًا آخر حتى غلبه النعاس وهو جالس يقرأ.

يفتح الستائر ثم النافذه لينعم باستنشاق هواء الصباح الباكر الصحي.

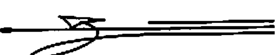
وصوت العصافير والبلابل التي تنعم هي الأخرى بالحرية والبساطة التي يفتقر إليها البشر،

ثم يفتح كل ستائر ونوافذ مكتبه ولا ينسى الاحتفاظ بمانع الحشرات مغلقًا ليدخل الهواء الجديد ونور الشمس،

ويذهب ليطمئن على البنتين.

يفتح باب غرفة سالي أولًا، ليجدها تتماثل للاستيقاظ فقد نامت كثيرًا، انتهت مدة الحقنة وأكملت نومها حتى الصباح

تتثاءب سالي، وتضع يدها اليسرى على فمها:



- صباح الخير يا حبيبي، عاملة إيه؟

- صباح الخير يا دادي، الحمد لله بخير.

أنا آسفة، مش عارفة حصل كده امبارح ازاي !!

- ما حصلشي حاجة يا حبيبتي، شوية اضطراب عصبي من تعب الرحلة والسفر والسهر والرقص

الزيادة عن اللازم.

مشيرًا إليها بأصبعه، وبتعبيرات وجه غير راضية كاتهام بالتجاوز.

لم تعبأ سالي كثيرًا لكلمات والدها، فهذا هو العادي بالنسبة لتربيته المنفتحة.

وتنظر لملابسها، وتقول:

- وكمان نمت بهدومي !!يا خبر.

- طيب تعالي نطمن على أختك.

***

يمشي أبو عمرو يحمل طعام إفطاره، بكيس أسود ويرتدي ملابس العمل كبانوراما ألوان من أثر الدهانات.

متجهًا لشقة زبون قريبة، يقابله فؤاد الكهربائي أحد أصدقاء المزاج.

- صباحو يا زميل.

- صباحك بيرعش يا فؤش.

أخبار الفولت إيه؟؟

- الفولت عالي قوي يا زميل، ويا تلحقه يا ما تلحقوش وفيه قعدة حلوة الليلة.

- هشوف أم الزبون ده، لو أَفَّشْنى هاجي معاك يا كهربائي الغبرة!

- ليه كده يا كبير!؟ ما تخليك حلو أومال يا صهللة، على العموم بكيفك.

ويتركه وينصرف غاضبًا.

يقول أبو عمرو وهو ينصرف إلى عمله:

- بكيفى طبعًا، أومال بكيف أهلك !!

ويقول في نفسه، لازم أجيب فلوس، ولو من عين العفريت، وينتوي بيع جزء من مواد الدهانات التي اشتراها صاحب الشقة، إن لم يعطه ما يحتاج إليه من النقود!

***

يفتح مؤنس غرفة لينده ويتمنى أن تكون هي الأخرى قد هدأت، ليجدها تقف على رأسها، مسندة أرجلها على الحائط! وتتشبث بالأرض بكلتا يديها.

وحين رأت والدها وأختها، عدلت من وضعها ووقفت أنيقة، بملابسها الرياضية الخفيفة الضيقة جدًّا.

- صباح الخير يا حبيبي، إيه النشاط ده كله؟

تحتضن أباها...،

- متأسفه يا دادي غصب عني.

- قفل الباب بالمفتاح من بره ما سببلكيش

أي إزعاج؟

- لا يا دادي، وكنت بحس بحضرتك لما كنت بتدخل عشان تطمن عَليّ كل شوية، بس واضح إن حضرتك ما نمتش خالص، عينيك بتقول كده.

- الحمد لله.

يالله خدوا (شاور) سخن كده لطيف، وغيروا هدومكوا وأنا هنزل بنفسي أشرف على تحضير فطار جامد آخر صيحة، وبابتسامة حب وحنان، قال:

- انتوا ما أكلتوش حاجة خالص من امبارح،
منتظركوا على السفرة يا قمرات.

* * *

زوجة كمال تعمل بجد ونشاط لتحضير هدية لشحته تليق بمقامه، ودسَّت النقود المتفق عليها بسَبَت الهدية
الذي تفوح منه رائحة الأرز المعمر، وذكر البط والحمام المحمر بالسمن البلدي، ولم تنسَ العسل والفطير المشلتت،
وتقول بفرحة:
- مش خسارة فيك يا شيخ شحته يا قادر، ده أنا كنت فقدت الأمل في الراجل، يا خراشي للدرجة دي سرك باتع!!
ثم تقول بغيظ وعلى وجهها ملامح الشيطان:
- إن ما جبتك على مَلَى وشك يا كمال يا ابن فرحانة،
ما أبقاش أنا سِرِّية!
وأخذت ابنها عَلِي، وحملت السَّبَت على رأسها بعد أن لبست جلبابها الأسود الخاص بالمناسبات الحزينة والسفر واتجهت إلى محطة القطار متجهة إلى بني سويف.



أبو عمرو يدخل الشقة ويبحث وسط علب الدهانات عن أغلى الأصناف، وجلس تناول طعام إفطاره، وأشعل سيجارة سوبر طويلة، ونفث دخان سيجارته، قائلًا:

- وهو أنا لسه هستني الزبون!!

ووضع أربعة علب بالكيس البلاستيكي الأسود، وذهب مباشرة إلى مستودع المواد لبيعها، بأقل من ثمنها الأصلي بكثير.

- لو سمحت عايز أرَجَّع الحاجة دي.

- إنت خدتها من عندنا؟

- أيوه.

- الفاتورة من فضلك.

- أه..!!

ويداعب شعره بأظافره، ويردف قائلًا:

- مفيش فاتورة ضاااااعت.

بس أنا عارف سعر العلبة، ميتين وخمسين جنيه.

- هناخد العلبة بميه وعشرين جنيه.

- طب خليهم ميه وخمسين جنيه يا حلاوة.

- هم ميه وعشرين جنيه للعلبة مفيش غيرهم.

- ماشي ماشي.

ويأخذ النقود وينصرف.

- أقطع دراعي الراجل ده سارقهم!

يرد عليه زميل له:

- واضح جدًّا، أصلًا سعر العلبه تلتمية وخمسين جنيه.

- حرامي غشيم.

- وانت صياد شاطر يا معلم.

- أنا مالي يا عم، بين البايع والشاري يفتح الله.

حرامي بقى مش حرامي ماليش فيه!

***

بعد الإفطار وأثناء احتساء الشاي بحديقة الفيلا،

لمحت سالي ملامح لشخص مختلف طُبِعَتْ على وجه والدها وكذلك لينده.

ولكن كل منهما أخفت ذلك عن الجميع، وأقنعت نفسها أن ذلك تهيآت، أو مازالت الأعصاب مضطربة من الرحلة.

ولكن لاحظ الدكتور مؤنس التعجب على وجهيهما ومحاولة إخفاء الأمر عليه من البنتين، ولكنه آثر عدم السؤال، فهو مثل كثير من الناس لا يتفاعل مع الأمر لمجرد الشك.

❊❊❊

تصل سرية أرض النفاق، لتقدم القرابين للشيطان من خلال وسيطه شحته، بالابتسامات والزغاريد وتقبيل الأيادي والاعتراف بالجميل، وتقديم واجب الحمد والشكر للكاهن الذي قام بعمل سحر أسود لزوجها، والذي إن أمرها بالسجود لمعبوده لفعلت! ما دام هناك شعرة فاصلة وهي كلمة (الشيخ) قبل اسم وسيط الشر شِحْته.

ويُوهِمها شحته بمباركة العمل، وتوبة وندم زوجها كمال عن فعلته النكراء، وأنه سيأتيها عبدًا ذليلًا راكعًا بمحراب عبوديتها.

ربما شفى ذلك كيدها العظيم الذي يوقنه.

ولكن هيهات أن توافقه أسياده لفعل ذلك أو أي شيء ظاهره معروف، إلا أن يكون باطنه ليلًا بهيمًا!، سيظل الأمر هكذا، بين سرية وزوجها، ساعة يكلمها بلطف وساعة يغضب عليها، كذلك الحال سيكون مع الهادي بتلك الخطة السوداء، إما أن يفتن بالجِنِّية ويترك الشيخ مصطفى والعلاج بالقرآن، وإما أن يقف بباب ساحر مشرك ليخلصه منها، ليناله نصيب من الشرك، ولن يخلصه منها أبدًا، وخاصة إن هي عشقته!

***

يعود أبو عمرو إلى منزله مبكرًا كغير عادته، محملًا بلحم وفاكهة، حرام! كنار تقطع الأمعاء، ووجه ظاهره باسم، وتخفي ملامحه السوء والظلم، فكلما زادت المعاصي زاد قبح الوجه وسواده.

فلم يجد خيرًا ولا بركة في بيته وزوجه وأولاده.

فعمرو بغربته لا يعرف عنه شيئًا، ولا يعرف الابن للبر معنى !

ورحاب غارقة بلباسها وشهواتها، تترقب نظرات المعجبين، وبالبيت تستعرض أنوثتها وجمالها أمام كل مرآة

وبالفراش تقطع برقع حيائها، لإطفاء لهيب التركيز في طريق

واحد! (ولن يطفأ أبدًا بشيء منهيٌ عنه)، والعمى والصمم عن باقي الطرق التي تجعل منها ابنة مباركٌ فيها، ولن يستمر الحال أبدًا على ذلك، فالمثل الشعبي يقول:

(الحجر الداير لابد عن لطه)، أي أن مصيره السجن بالنهاية.

* * *

كان أبو أمل يكتفي بهذا الرد حين الشدة وقلة الحيلة عندما يَسْأل:

- منين دا كله يا أم أمل!؟

- كله من عند الله يا أخويا، هو ربنا بينسى خلقه أبدًا.

عاد من يوم عملٍ شاق بخمسين جنيهًا هي حصيلة يومه ليجد بيته غارقًا في النعمة!

ملابس جديده لزوجته وأولاده، مفارش للأرضيات وستائر على النوافذ، رائحة بخور جميلة تفوح من الشقة،

فاكهة على المنضدة، رائحة الطعام بالمطبخ يستنشقها منذ دخوله باب البيت، فصمم على معرفة السر وأرهق أم أمل بالسؤال، وهي تراوغ وتفلت منه بنعومة.

ولكن هذه المرة لن يموت من الجوع، ولن يُقسم كبرياء رجولته إن سأل، فالبيت مليء بالخير! عجبًا له.

أقسم عليها بالطلاق إن لم تجبه!؟ بعد مجاهدة وعناء وأخذٍ وعطاء، وجذب وارتخاء، وعلو أصوات وصراخ ورجاء بستر العطاء، رمقته أم أمل بنظرة إشفاقٍ عليه، قائلة:

- مِنَشِّفْ راسك تعرف السر يا أبو أمل!؟

- انطقي يا وليه.

- ده كان سر من عند ربنا، وانت اللي فتشته مش أنا، اتحمل بقى اللي جاي ربنا يعطيك الصحة.

يحملق بها أبو أمل مستنكرًا كلامها:

- أيوه يعني الفلوس بتجيبيها منين!؟ اوعي يا وليه تكوني بتقبلي زكاة!؟ ده أنا لسه بصحتي، ما نمتش.

- لا يا أخويا بِعْد الشر.

وأمسكت بيده، وقالت:

- تعالى.

تعجب الرجل حينما اتجهت به ناحية غرفة النوم، ولكنه انصاع ومشى معها، وحين وصلت للسرير رفعت الوسادة، وقالت:

- هنا يا أبو أمل، كل يوم تحت المخدة كنت بلاقي الفلوس وما كنتش باتكلم، ولا أسأل كانت ستي زمان حكت لي حكاية الملكة اللي تحت الأرض اللي بتحط فلوس للغلابة تحت المخدة، وإن اللي يفتش السر خلاص ما يلاقيش حاجة تاني، عرفت ليه ما كنتش عايزه أقولك؟

بغضب شديد قال أبو أمل:

- وحياة أمك!؟ عليَّ أنا الكلام ده!! انت فاكراني داقق عصافير يا وليه!

ورفع يده التي لا تفرق كثيرًا عن المرزبة التي يستعملها بعمله، وصفعها على وجهها.

فصرخت على الطريقة البلدي المعروفة....

- يا داهويتيييييي.

واستبقا الباب، فسبقها إليه، وأغلقه وأمسك بشعرها يجره إليه.

- والله لو ما نطقتي وقلتي جبتي الفلوس منين لهطلع روحك في إيدي.

بتهتهة ونهنهة من أثر البكاء والاستعطاف- قالت:

- والله يا أخويا ده اللي حصل، وحياة السر اللي بينا والعيش والملح ده اللي حصل يا أبو أمل.

فتركها وانصرف بين مكذب ومصدق، ولا يملك إلا أن يصدق.

* * *

قرر الشيخ مصطفى الذهاب إلى عطوة ناصحًا أولًا قبل إبلاغ الشرطة عنه، رغم علمه أن النصح لن يأتي بفائدة مع أمثال هؤلاء، من ماتت قلوبهم وغطاها الران.

ولكنه اتبع الأصول، ولم يبادره بالعقاب، لربما رجع وتاب وأناب عن فعلته، وذنبه وظلمه لصديقه يوسف، وكذلك ربما تاب عن ذنبه الأعظم، وظلمه الأكبر أن يدعو ويناجي شريكًا مع الله عز وجل.

يطير قرين الشيخ مصطفى إلى خُدَّام عطوة من شياطين الجن، يخبر عنه الأخبار ويطلعهم الأسرار ويعلمهم كل شيء عن الموضوع، وبدورهم يخبرون رجلهم الخبيث.

يقوم عطوة ليقدم الثمن! بالقرابين المتبعة والصلوات المبتدعة:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

- وعليكم السلام.

- ده سكن الحاج عطوة، صحيح ولا أنا غلطان؟

- لا حضرتك مش غلطان، ده سكن الشيخ عطوة، أي خِدْمة؟

- ممكن أقابله من فضلك؟

فملامح موظف الاستقبال لا توحي بأنه عطوة الذي يُتوقع بملامح الشر والمكر والكيد والخبث.

- خير إن شاء الله؟

- خير إن شاء الله، عايزه في موضوع كده.

يخرج عطوة إلى الاستقبال لعلمه بوصول الشيخ:

- يا أهلًا وسهلًا، ومرحبًا بمولانا الشيخ مصطفى اتفضل، اتفضل (بنظرة عين تملؤها الثقة وابتسامة القوة والتحدي)، اعمل لنا حاجة نشربها يا مُهاب.

- حاضر يا سيدنا.

الشيخ مصطفى تأكد أنه ساحر فاسد، ولم يبدو عليه أي علامات تعجب، لعلم عطوة اسمه دون أن يخبره فهو يعلم القصة بكاملها، ويحذر الناس من خطر هؤلاء، ولكنه أراد أن يبدأ بالخير مع عطوة، فجعلها تبدو كرامة بالظاهر،

والاثنان يعلمان الحق.

- ما شاء الله، شكلك راجل طيب زي ما سمعت عنك.

- اتفضل يا مولانا استريح.

بعد أن أدخله غرفة العمليات! التي تحوي المبخرة والمسبحة والكتاب والخاتم العجيب بيده.

- يا حاج عطوة!! إلا بالمناسبة إنت حجيت؟ إوعى تكون لسه؟ العمر بيجري.

- لما ربنا يريد يا عم الشيخ.

- ونعم بالله، ندخل في الموضوع.

يدخل الخادم بقهوة:

- اشرب القهوة الأول يا مولانا، دي واجب الضيافة.

علم الشيخ مصطفى أن الإيقاع بهذا الرجل لن يكون سهلًا أبدًا؛ لأنه يعلم من القرناء من هو آتٍ عليه، وعند علمه بخبر الشرطة بالتأكيد سيهرب!

وعند وصول الشرطة كل مرة للقبض عليه لن يكون موجودًا إلا بسر أقوى من سره وسحره.

يستلم الشيخ مصطفى القهوة، وهو بتلك الخيالات ويلوم نفسه؛ لأنه نسي دعاءً هامًّا.

- شكرًا يا مهاب يا ابني.

ويضع الفنجان أمامه على المنضدة وبنيته أنه لن يقربه. وتوجه بالحديث إلى عطوة قائلًا:

- يا عم عطوة، الأستاذ يوسف صديقي قال لى إنك عرضت عليه تمنمية ألف جنيه، تمن البيت وأنت عارف البيت جايب ملايين !!

- والله يا مولانا، ده كل اللي معايا، ولو فيه تاني كنت عرضت أكتر!

وبنظرة وابتسامة مكر أردف قائلًا:

- يبيع للي يعرض عليه الملايين يا سيدي، بالتوفيق.

- إنت عارف إنه مش قادر يعمل كده، عشان زباين الملايين طفشت، وأهل البيت كلهم من يومها تعبانين ومش بخير.

- أيوه فعلًا الأستاذ يوسف كان جاب لي الست أم علا أشوفها.

(يتحدث بثقة الخبير العالم)

بغضب بدا على ملامحه، قال الشيخ مصطفى:

- اسمع يا عطوة، أنا ما بحبش اللف والدوران، اتق الله وسيبك من الطريق اللي انت ماشي فيه ده، نهايته مش كويسة، والدنيا منتهية مهما عشنا فيها، مصيرنا للموت، وكل شيء هيزول وهينتهي،

اتق الله وابعد عن ظلم وأذى خلق الله.

- مش فاهم يا مولانا بتتكلم عن إيه!؟ أنا راجل بعالج الناس مش باضرهم وأذيهم.

يهم الشيخ مصطفى بالانصراف، قائلًا:

- لأ إنت عارف وفاهم كويس قوي أنا أقصد إيه.

وهو يمشي منصرفًا، قال:

- واوعى تفتكر إني ضعيف قدامك، ومش هقدر عليك، أنا مع الله وأنت عارف وتوقن، إن حزب الله هم الغالبون.

ببرود مقصود قال عطوة:

- ما شربتش قهوتك يا مولانا!

- إن شاء الله هشربها قريب لما آجي أزورك في مكان تاني (يقصد السجن).

- في انتظارك دايمًا يا مولانا.

بانحناءة وابتسامة مكر خبيثة، وبعد انصراف الشيخ يقول عطوة منفجرًا بالضحك:

- ده عند أم تِرْتِرْ!

ينظر إليه مهاب متعجبًا، يقطع عطوة الضحك فجأة ويبدو على وجهه الغضب، وملامح الشيطان، مع نظرة عين قوية إلى مهاب، وصفعة مفاجئة على وجهه، أخرج بها كل شحنات الغيظ من الشيخ مصطفى، ثم ببرود ليس بوقته تمامًا قال له:

- إنت ما بتضحكشي ليه يا مُهاب!؟

مهاب يبكي ويضحك في آن واحد!

***

ظل خالد يناور في العمل، ويُنهي ما يُطلب منه بشكل سريع وغريب، وكانت سرعته في إنهاء الأعمال

تغفر له الغياب الكثير عن العمل، فله مهمة محددة، كلفه بها سيده شحته، يريد أن ينجزها بسرعة، فظهوره بهذا الشكل خطر عليه ربما أودى بحياته. هذا التجسد، الذي تحكمه قوانين صارمة عليه، ربما بالفعل أودت بحياته.

وهي أنه يمتثل لقوانين الأسباب، التي تحكم الشكل الذي يتمثل به، فإن تمثل بقط مثلًا وضربه أحد فإن الضرب يؤلمه، وإن قَتَل القط أحد أو دهسته سيارة فإن الجن يموت فعلًا، لذلك يُعتبر التجسد بالنسبة للجن خطر ما بعده خطر

عليه، فلا يقوم به أحد من الجن إلا شياطين الجن، ولأمر مهم لا يستطيع فعله إلا بالتجسد، فيمكنه أن يوسوس مثلًا.

فكون الجن طاقة خفية، هي طبيعة جميلة ومُرْضية بالنسبة له جدًا، حيث يستطيع رؤية الإنس والعكس غير صحيح، وكذلك يستطيع الحركة بسهولة ويُسْر، لا توقفه الأبواب المغلقة ولا الجدران الموصدة.

إلا إنه بهذا التجسد على شكل إنسي، يريد أن يقنع الهادي بأن الزواج بجنية أمر عادي وبسيط، وأنه إنسي مثله ومتزوج من جنية، وكذلك يريد أن يأرجح كمال بين الحب والكراهية لطليقته طوال الوقت، وأيضًا يريد أن يرشد الهادي إلى طريق آخر غير طريق الشيخ مصطفى، ألا وهو طريق الشيخ المزعوم شحته! فكيف يكون ذلك بالوسوسة فقد كان شحته ببني سويف وعطوة بالمقطم يمثلان مجالس شر إدارية للشيطان الأعظم!

ولا عجب في هذا التجسد العجيب، فقد كان الشيطان قديمًا يفعل ذلك دائمًا، وكان خليل الله إبراهيم يقذفه بالحجارة التي كانت تؤلمه وتبعده عنه، حتى أن شعيرة رمى الجمرات أتت من هنا.

الآن يعلل خالد غيابه عن العمل بالمرض وملازمة الفراش حتى يتغيب تمامًا عن العمل بعد ذلك، ويوهم الجميع بأنه التحق بعمل آخر، حتى يغيب عن أنظار الجميع كما يشاء ويفلت من تتبع «أبو حامد» له.

يقرر أبو حامد زيارته بعد صلاة العشاء؛ ليقضي أيضًا وقتًا لطيفًا مع أصدقائه الهادي وسامح اللذين سيدعوهما للاطمئنان على زميله خالد بالشقة عند كمال.

***

والدة الهادي تعرض عليه سَحَر، أخت صديقه سامح

ولا تجد معارضة منه، سوى أنه متوسط الحال فتقنعه أن سحر وعائلتها أيضًا متوسطو الحال.

ويوافق الحاجة أن تذهب لوالدة سحر أولًا وتسأل عن الموافقة المبدئية من الأسرة، متناسيًا ما يحدث له بغرفته فهو يعلم أنه أمر غير طبيعي، وسينتهي لا محالة، وأغراه في الموضوع حماس الحاجة،

وجمال سحر الذي لا يخفى عليه فهو يعلمها جيدًا، وكذلك صداقته لسامح وقربه من والده،

ولكنه استمهلها بعض الوقت كي يستعد للموضوع.

* * *

يذهب الشيخ مصطفى لصديقه يوسف، ليؤكد عليه ويُفْهمه حقيقة الشيخ المزعوم المزيف، الذي أراد أن يأخذ منه البيت بثمن بخس، ويقنعه بالذهاب معه إلى قسم الشرطة لعمل بلاغ عن هذا الساحر.

ودخلا القسم ليجدا أمين شرطة بالاستقبال:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

- وعليكم السلام، وبعدم اهتمام- قال أمين الشرطة:

- خير فيه حاجة؟

- كنا عايزين نقدم بلاغ عن ساحر.

- الساحر بتاع السيرك اللي بيقول جَلا جَلا!

إيه العرض ما عجبكوش واللا إيه؟ ساحر إيه دا يا عم انت وهو!

يراقب الحوار من بُعد ضابط يبدو عليه الإنسانية والاحترام.

- يا أخي الفاضل ساحر، بيقوم بأعمال سحر أسود وتسخير لشياطين الجن، وأذى الراجل الطيب ده في نفسه وفي زوجته، وعايز يشتري بيته بتمن بخس.

- باقول لك إيه يا حاج، بلا أخي بلا أختي! إنت هتكلمني بالنحوي! معاك بطاقة؟

- نعم.

- وريني بطاقتك يا أخويا، انت والفاضل.

ينادي الضابط على أمين الشرطة:

- يا أمين فرج.

- أيوه يا فندم.

- هاتهم عندي، أما اشوف إيه حكايتهم.

- روح يا أخويا انت والفاضل عند أحمد بيه،

خد البطايق.

دون أن ينظر إليهما، يحكي الشيخ مصطفى للضابط

- بس يا حضرة الظابط ده كل الموضوع......،

- كل دي كروت من لواءات شرطة تعرفهم يا شيخ مصطفى!!

- كلهم ناس أفاضل، بعضهم تعرفت عليهم بالمسجد بعد صلاة أو خطبة، وبعضهم ربنا أكرمني وعالجت حد من قرايبه ببركة القرآن.

- كارت واحد من دول لفرج كان يخليه يؤدي لك التحية العسكرية.....

- يا أمين فرج.

- نعم يا فندم.

- تعالى من فضلك.

قال الشيخ مصطفى:

- والله يا أحمد بيه الكلام مع سيادتك هو اللي جاب بعضه، ومش مقصود خالص إني أُظهر قدامك إني أعرف لواءات من الداخلية، والأخ فرج واضح إنه متأثر من معاملة المجرمين، ياريت الداخلية تقوم بعمل دورات تدريبية لأبنائها للتفرقة بين المجرم والمواطن العادي صاحب المسألة.

- أيوه يا فندم خير؟ هكذا قال الأمين فرج.

يعطيه الضابط الكروت قائلًا:

- الداخلية كلها أصحاب عمك الشيخ مصطفى.

ينظر الأمين للشيخ مصطفى بأدب واحترام وانحناءة خفيفة، ويقول:

- طيب مش تقول كده من الأول يا باشا.. قصدي يا عم الشيخ.

يبتسم له الشيخ مصطفى بعفو الأب، يأمره الضابط بالانصراف:

- طيب روح انت يا أمين فرج شوف شغلك.

- تمام يا فندم.

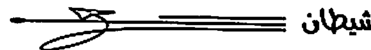
- بس يا جماعة كده مفيش جريمة.

يتحدث الأستاذ يوسف للمرة الأولى منذ دخل مع الشيخ مصطفى إلى القسم قائلًا:

- مَفْ، مَفْ، مفيش جيج جريمة، أومَّال كل ده إيه؟ رز بلببين!؟

يستاء الضابط من كلمات يوسف الساخرة، فيرد الشيخ مصطفى:

- استنى انت يا أستاذ يوسف، لا مؤاخذة يا أحمد بيه الأستاذ يوسف التعبير خانه، وكمان عطوة مفهمه إنه راجل طيب وله كرامات، ولما عرف الحقيقة اتصدم.



- حصل خير يا شيخ مصطفى، وانت يا أستاذ يوسف شيل دماغك خالص من الموضوع ده عشان نعرف نخلصك من المصيبة دي.

- حا حا حاضر يا فندم.

- المشكلة إن مفيش نصب في الموضوع، ولا فلوس أخدها عطوة ده..،

عمومًا هعمل تحرياتي، ولو اتكدت إنه دجال و مشعوذ هنعمل له فخ كده، وبإذن من النيابة نقبض عليه.

قال الشيخ مصطفى بثقة:

- ولا بإذن من رئيس الجمهورية حتى هتعرف تقبض عليه بدون وجودي معاك يا أحمد بيه!.

أَمَالَ الضابط رأسه بنظرة تعجب من كلمات الشيخ.

الذى أردف قائلًا:

- ببساطة يا أحمد بيه، عطوة مش نصاب بالمعنى المفهوم، عطوة ساحر، بيسخر الجن!

والجن بيعرفوه كل حاجة، وأخبار الشرطة طبعًا.

- يا سلام !يعني هو دلوقتي عرف إنك عندي واتكلمنا عنه، وفيه نية للقبض عليه!؟

- طبعًا.

- يا مولانا الشيخ مصطفى، لا يعلم الغيب إلا الله، هو أنا اللي هقول لك الكلام ده !!

- ونعم بالله، والجن نفسهم ما يعرفوش الغيب فعلًا، بدليل عدم معرفتهم موت سيدنا سليمان عليه السلام وهو ميت، مستندًا على منسأته أو عصاه، وهم يعملون بأمره ولو علموا الغيب وعرفوا بموته؛ لتركوا العمل فورًا.

ولكن اللي بيحصل ده مش غيب، قريني

أو قرينك يقول لخُدَّام عطوة من الجن

والخدام يقولوا له.

- اللهم احفظنا، دا الموضوع كبير بقى، ده سي عطوة ده عامل شبكة تجسس ولا الموساد!! طيب هتصرف ازاي في القصة السودة دي؟

- لا عليك، سيادتك بس اعمل تحرياتك، واتأكد إنه بيشتغل في أعمال الدجل والشعوذة والنصب اللي تعتبر جريمة من وجهة نظر القانون، وإنه بيتقاضى أموال مقابل كده.

مع إني أتوقع إنه هيقلل نشاطة جدًّا الفترة الجاية دي،

ولما تؤكد لحضرتك التحريات صدق كلامي، من فضلك اتصل بي عشان أقول لسيادتك ازاي نوقعه، ونعطل شبكة تجسسه!.

* * *

تَرْبِتُ أمل على كتف أمها بحنان، معتذرة إليها أنها كانت السبب وراء ضربها من والدها:

- أنا يا أمه اللي كنت بحط الفلوس تحت المخدة وفي أي حتي في البيت.

- انتي يا أمل !وجبتي الفلوس من أنهي داهية يا بت!!

- ما تخافيش يا أمه، كنت باشتغل في بوتيك ملابس جاهزة في وقت المدرسة.

- والمدرسة يا أمل!؟ وشهادة الدبلون.

- دبلوم إيه بس يا أمه، هو انتي فاكره الدبلوم ده شهادة، ولا حتى شهادات الجامعة عاد لها لازمة !

نص شباب البلد عواطليه، ومتلقحين على القهاوي.

- طيب خلاص، مش عايزة كتر كلام، واكفي على الخبر ماجور، أبوكي خلاص مش داخلة دماغه خالص الحكاية دي،

ومش هيبطل نخوره، من بُكْره تروحي مدرستك وانسي حكاية البوتيك دي خالص، وأما تاخدي الشهادة اعملي اللي يعجبك.

- يا أمه، ما انتي شايفة أبويا، يوم يشتغل وعشرة لأ، والبيت حمله تقيل.

- مش شغلك انتي الكلام ده يا بنتي، وهكلم أبوكي من بُكره هشوف لي أنا شغلانة إن شالله أبيع فجل وجرجير قدام البيت.

***

خالد يتحاور مع كمال مُدَّعِيًا المرض، ويسب ويلعن في النساء وفي مكرهن وكيدهن، كي يكمل خطته الخبيثة التي نسج خيوطها مع سيده الساحر شحته، ساعة يحببه بزوجته وأخرى يجعله يلعن اليوم الذي عرفها به.

كان قد التقى بالهادي بجلسة الأصدقاء سابقًا، ولم يستطع أن ينسج خيوطة العنكبوتية حوله، ولكن هذه المرة لن يفلت منه الهادي!

يدق جرس الباب، يفتح كمال:

- أهلًا شيخ هادي، إزيك يا أبو حامد، أهلًا دكتور سامح، فينك من زمان عاش من شافك يا راجل.

سامح:

- ما خالد كويس زي العفريت أهه،

بتقولوا تعبان ليه!

خالد:

- شفتكوا ارتحت يا دكتور.

أبو حامد:

- هات الكوتشينة يا أبو كمال عشان أهرس الدكتور سامح دورين تلاتة.

سامح:

- يا عم بطل لماضه بقى وكلام على الفاضي، وكل مرة بتتغلب.

كمال:

- خد يا عم الكوتشينة أهه، وهروح أعمل الشاي.

انشغل سامح مع «أبو حامد» في اللعب.

الهادي:

- ألف سلامة عليك يا عم خالد، مالك فيك إيه؟

- مفيش، شوية تعب كده يا شيخ هادي.

- تلاقيك عايز تتجوز بس، ده اللي تاعبك.

يبتسم قائلًا:

- طيب ما أنا متجوز.

- يا راجل! أول مرة أعرف إنك متجوز.

- حد يسيب بيته ومراته في بني سويف وييجي يعيش في زحمة القاهرة!

- أنا متجوز هنا في الشقة دي، بس أرجوك إوعى تجيب سيره لكمال أحسن يخاف!

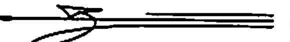
ينتبه الهادي، ويقول دي فزورة بقى! متجوز ازاي هنا في الشقة!! يا جدع انت؟

- وطّي صوتك، الله لا يسيئك.

- متجوز من تحت الأرض، وده سر واستأمنتك عليه عشان إنت راجل طيب.

- وبتظهر لك في أوضتك!؟

- أيوه طبعًا.



- على أنهي صورة؟

- على أي صورة أنا عايزها.

- ازاي يعني؟ مش فاهم.

- بتاخد شكل أي ست أتمناها، ممثلة مشهورة أو أي ست أُعجبت بيها.

- وما بتخافشي منها!؟

- وأخاف منها ليه؟ دي مراتي أُمْ عيالي!

- وكمان عيال!! الله يخرب عقلك، ده انت مصيبة.

***

يلهو أبو عمرو مع أصدقائه، ويدندن أغنية المعلم شندي، وهو محلق في فضاء عقله الذي طار مع الدخان الملغم.

- حبيتك كتير جوى يا ولد عمي

رحت اشتكيت حبك لأبوى وأمي

بعد كده إيه يا معلم شندي؟

- جال لي أبوى لساك يا ولدي صغار

روح ازرع جصب جنبه كمان اخضار

وابني لك مجعدين فوج سطوح الدار

ومن عنيه الجوز أكلم اعمامك

بهية لشندي تطفي نار شوجك.

- أهي بهية دي اللي هتجيب الكافية لشندي، واللي خلفوه.

فؤاد:

- انت وصلت يا أبو عمرو، حمد الله على السلامة.

- اسكت انت يا كهربائي على ما تُفْرَجْ!

بيقولك مرة واحد كهربائي خلف بنت سماها نجفة.

ولما يِعْيا بيقيسوا له الضغط بالأفوميتر.

ولما يبرد بيرعش.

ولما يسخن يفصل شوية يرتاح،

يضحك الجميع.

يستمر في سحب الدخان من الشيشة

المعلم شندي: جرى إيه يا عم انت، دَوَّر الجوزة الكيف مناولة مش مقاولة.

واللا عشان فلوسك حاضرة الليلة!؟

المعلم بيومي الفرارجي: لا، لا يا فؤش، إنت كده اتسحلت رسمي يا أسطى.

- سيبه يا عم بيومي طاير، واللا انت عايز تدخله العشة!

شندي:

- العشة! ده على أساس إنه فرخة، اسمع دي..

تلاتة بيحششوا في مزرعة فراخ، الحكومة هجمت، استخبوا في تلات شوالات، الظابط ضرب الشوال الأولاني برجليه، الحشاش عمل نفسه بط وقعد يكاكي.

الظابط سابه وضرب الشوال التاني، الحشاش اللي فيه قعد يِدَّن، ويقلد صوت الديك، الظابط سابه، وضرب الشوال التالت، الحشاش اللي جواه سكت ضربه تاني جامد، سكت، قعد الظابط يضرب برجليه، طلع له الحشاش، وقال له: بطاطس، بطاطس انت ما بتفهمش؟

المعلم بيومي:

- خلاص هتمسكوا قافية الفراخ والفرارجية! ماشي

واحد عنده مزرعة فراخ، راح يجمع البيض عرف إن كل فرخة باضت بيضه واحدة، مسك فرخة نتف ريشها وبهدلها، وقال لهم اللي مش هتبيض بكره خمس بيضات هنتف ريشها زي الفرخة دي، تاني يوم كل الفراخ باضت خمس بيضات ما عدا فرخة، مسكها وقال لها تلات بيضات بس ليه؟ قالت له: استر عليَّه، الله يسترك ده أنا ديك!

يضحك الجميع وتصهلل القعدة.

يمرعليهم قطٌ أسود كبير، وجلس يحملق بهم ويميل رأسه.

قال أبو عمرو:

- ياد يا فؤاد، رُصْ حَجَر للقط ده، شكله صاحب مزاج وخَرْمان.

ثم نظر للقط، وقال:

- واللا إيه يا أخ!؟

بنصح قال المعلم شندي:

- مرة واحدة جميلة قوي، قاعدة تتزين لجوزها قدام المراية، في أوضة النوم ولا مؤاخذة، دخل قط أسود كبير زي ده كده، وفضل يبص على الولية، لحد جوزها ما خد باله، فبص له بغيظ، وقال له:

- إيه عجباك!؟ لو عجباك خدها.

القط مشى، وبعد شوية لما الراجل انشغل عنها، الولية مشيت ورا القط بره البيت زي المسحورة!

فؤاد:

- يا خبر احوس ومهبب، إنت هتلبش جتتنا ليه يا معلم؟.

- مش القصد يا فؤش، القط الإسود بالذات حَرَّص منه، بيقولوا اللهم احفظنا ممكن يكون جني.

يعني ما تستهترشي بيه، وتقعد تاخد وتدي معاه في الكلام، عشان ممكن يرد عليك، وتروح انت في أبو بلاش!

- أنا مالي يا عم قول لأبو عمرو هو اللي كان عايز يرص له حجر معسل.

أبو عمرو متعجبًا:

- عليه النعمة إنت دماغك متكلفة يا معلم شندي، وحصل إيه بعد كده؟

- أبدًا اتنصبت محكمة للجني، ودافع عن نفسه، وقال هو اللي قال لي لو عجباك خدها.

قالوا له الراجل فاكرك قط، فبيهزر مع المودام بتاعته، وحكموا عليه يرجعها لجوزها.

المعلم بيومي بعد أن شد نفس حشيش بعمق:

- عليه النعمة الصنف الليلة دي عالي قوي قوي،

أنا لو أعرف القط ده فين، أقول له أبوس إيدك خدها وخد اللي انت عايزه، بس خلصني منها.

يضحك الجميع.

***

جَنَّ الليل على الدنيا بأسراره وأفكاره، وسكونه وأشعاره وأوتاره، وإلهامه، ولكلٍّ به مأرب وغاية.

يجلس الهادي بغرفته يفكر بكلمات خالد!

(بتاخد شكل أي فتاة جميلة أتمناها)

(ممثلة مشهورة مثلًا)

(زوجتي وأم أولادي)

يناقش خياله في الأمر، بهدوء وعمق، ودون رهبة فليس هو الأول، ولن يكون الأخير الذي يحدث معه هذا.

استراح بجلسته على الحصيرة متكئًا بظهره ورأسه على الحائط.

يدور برأسه شريط ذكرياته بكل ما حدث معه تجاه هذا الموضوع، بداية من حُلمه العجيب، وكتاب العهود وربط بينه وبين كتاب عقد

القران، وموافقته على بنوده، واصطحاب زوجته إلى غرفته، ومعاشرته إياها بأحلامه، وتوقعه أن يستمر الحال على ذلك.

لولا ضربة المطرقة التي تلقاها من خالد بأن زوجته تظهر له بغرفته على هيئة أجمل فتاة يتمناها!

وكم فتاة تمناها الهادي، من سهم واحد رماها به من سهام عينه، فهو يعلم أن النظرة الأولى له والثانية عليه، لكنه تغافل عن تفسير المعنى بشكل صحيح، ويخطر بباله فعلًا ممثلة وراقصة مشهورة، ويسرح خياله بجمال عينيها، وبياض وجهها، ورقة وحمرة شفتيها.

وقوامها، ونحالة خصرها، وعلامات الأنوثة التي تجعل الهادي ومن هم بنفس معاناته من الصحة المفرطة

الوصول إلى قمة النشوة والشهوة، وانطفائها! وهو مفتوح العينين يقظًا! فأحيانًا يكون الخيال أقوى من الحقيقة،

وتمنى ذلك بقوة، فلم ينكر شيخه هذه الزيجة ولم يتعدى هو على أحد، إنه بغرفته مغلقًا بابه عليه.

وأخذت حرارة جسدة ترتفع، والعرق يتصبب من جبينه، وخلايا جسده تنتفض شوقًا ورغبة أن يحدث هذا!

وعندما تصل الرغبة لمنطقة محددة، لا يمكن الرجوع أو التراخي.

حتى تُخترق الحجب، وتهتك الستائر والحواجز.

فلا رادع حينئذ ولا مُوقِف للشلال من عليائه.

- ممكن !

- ممكن ده يحصل فعلًا!

- ممكن أستمتع بده، وهنا بغرفتي!

لو ممكن أستحلفك بالله، يالله! وما ترددديش، إن كان الكلام صدق، مش افترا!.

(تغير لون المصباح قليلًا)

- أنا مستعد، مستعد ما تخافيش عَلَي.

(تغير لون الإضاءة تمامًا)

- مستعد، والله مستعد، مش خايف.

بدأ أساس الغرفة يختفي، وأصبحت الغرفة منطقة واسعة، ولا يوجد بالغرفة سوى حوائط، بلون أرجواني وسجادة بنفس مساحة الأرض.

- يالله، يالله بسرعة.

وهو يرتجف، وتشابكت عظامه، بدأ يسمع موسيقى هادئة، ينظر، وينتظر، كان يظنها ستظهر فجأة.

ولكنه لاحظ دخانًا مركزًا، بدأ يخرج من المصباح متصلًا إلى السجادة، ولا يتشتت بالغرفة.

ارتفع وقع الموسيقى، انتفض واقفًا، يحملق بالدخان الذي بدأ يجتمع فوق السجادة، مكونًا أشكالًا، تجتمع لتكون شكلًا واحدًا.

- يا ربي !!

ده شكل بنت فعلًا، بيتجمع من رجليها لفوق.

تركيز شديد، وترقب حتى انتهى اتصال الدخان واكتمل رسم متجسد ثلاثي الأبعاد للدخان، على صورة فتاة!

الدخان بدأ يأخذ شكلًا آخر، حتى بدت العروس بشكلها الذي رآها عليه يوم العرس، وبكل مرة يراها به في منامه.

سكنت الموسيقى، قال الهادي بتماسكٍ مصطنع:

- هو، د د د، ده ممكن!؟

بصوت حنونٍ حالم، نابع من بؤرة أنثوية لا مثيل لها قالت:

- إنت شايف إيه يا حبيبي؟

- صحيح ممكن أشوفك بأي صورة أنا عايزها؟

- كل اللي تتمناه يا هادي مُجاب.

(بصوت رخيم حنون دافيء)

بدأ يهدأ قليلًا..

- عايز أتأكد بنفسي.

- تمنى يا حبة القلب، إنت عايزني أكون مين؟

قبل أما أجيلك كان تفكيرك مشغول بمين!؟

(بأسلوب به عتاب ولوم):

- ازاي تنشغل بحد!؟ وأنا بين إيديك كأني كلهن!؟

غمض عينيك يا هادي.

بدأت نفس الموسيقى التي تخيلها..

- افتح عينيك.

- ياالله!

هي، هي التي تمناها ترقص بنفس الطريقة التي تخيلها، انتهت رهبته، وتوتره تمامًا.

استخدمت أسلحتها الأنثوية، التي لا يقاومها أحد تراقصت، وتمايلت، وتدللت، وانحنت.

استعاد هو فورانه شيئًا فشيئًا، حتى تدفق ماءُ الشلال رغمًا عنه!

ورجع كل شيء كما بدأ، من حيث انتهى إلى حيث بدأ.

اختفت.

سكنت الموسيقى.

رجع الأثاث.

سكن ضوء المصباح.

يجلس الهادي بمكانه بين نوم ويقظة،

استيقظ تمامًا،

وتعجب لعدم وجود ماء الشلال لأول مرة !

* * *

بعد منتصف الليل، وكلٌّ مشغول بأحواله،

من اتقى ربه في نهاره، سعيد وهانيء بأحلامه وأذكاره، باتصال دائم لا ينقطع، لا يغفل قلبه قبل لسانه.

ومن ظَلم ظُلم، ولو في صحن داره، وسُلِّط عليه من يرد عليه ظلمه وطغيانه؛

ليعلم أن كل شيء له ثمنه وميزانه، ومن عُجِّل إليه فبرحمته وغفرانه،

ولا يستوي من استقام واتبع هديه وكتابه،

بمن لم يستقم واتبع هواه وشيطانه،

سواء محياهم ومماتهم.

تصرخ البنات الثلاثة، من ظُلْم من عرضن أنفسهن عليهم

فكل واحدة منهن ذهبت إلى من يظلمها في مكانه

لم يأتِ إليهن أحد ليظلمهن، طالما كانت كل منهن مثل بنات جنسها، تلتزم تعليمات دينها، وتعلم بوجود الحراسة الملائكية حولها تحميها من غدر هؤلاء.

الأولى سالي عرضت نفسها عليه بالسوق، بالمول التجاري الفخم، وهي تمشي بدلال، محزقة ملذقة، تكشف أكثر مما سترت! كاسية عارية.

والثانية لينده، عرضت نفسها عليه في صالة الفرح والرقص والصراخ والموسيقى الصاخبة التي لا يحضرها إلا الشياطين.

والثالثة رحاب، عرضت نفسها عليه كل يوم أمام المرآة، عارية، فرحة فخورة بجسدها، التي تتصور أنها الأنثى الوحيدة بالدنيا.

التي تمتلك تلك المقومات التي لا يقاومها أحد!

ولا يشترط أن تصاب بأذى كل من فعلت فعلهن، ولكن من تفعل مثلهن تكون قد عرضت نفسها للخطر، رخيصة.

وتختلف طريقة التعبير عن حجم الأذى، حسب البيئة، انهارت سالي ولينده بصراخ مستمر لم ينقطع، حتى بعد سؤال مؤنس عن السبب!

فلن يستطيعا البوح بشعورهما، بوجود ذكر معهن تحت الغطاء، مختفيًا! ويعاشرهن معاشرة الأزواج.

أما رحاب، فقد فضحت الأمر لأمها، وأخبرتها بكل شيء!

لم تصبر أم عمرو حتى الصباح، فعندها المعالج قريب.

ذهبت إلى الهادي، وأفزعته، وأخرجته من متعته وأحرجت وقار مشيخته، فلن يستطيع الذهاب معها من فوره،

فعنده عذر يمنعه من تلاوة القرآن، على ابنة أخته الآن

فطلب أن تقص عليه الخبر.

فطمأنها بوعد للحضور إليها بالبيت،

وأفهمها سبب حدوث ذلك، وعاتبها لعدم متابعتها ابنتها

فكثير من الناس يرتكب نفس الخطأ الذي ينصح غيره لعدم الوقوع فيه!

بغضب شديد وخوف من الفضيحة، قالت أم عمرو:

- يا سوادي ياني، بيعاشرها ازاي يا أخويا!؟ يعني البت بقت مَرَة! رحاب مش بِكْر!؟

- أنا ما قلتش كده يا أم عمرو، واهدي بقى عشان أفهمك.

- فهمني يا أخويا، الله يستر عرضك.

- شوفي يا أم عمرو، رحاب هي اللي عرضت نفسها عليه، اتمايصت في السوق، أو في صالة أفراح، أو وقفت عريانة في الحمام قدام المراية.

وهي في نظره دلوقتي مراته، ومفيش لوم عليه ولا عقاب، فهو شيطان جت له في مكانه تطلبه.

- أشق هدومي يا ناس!؟ أرقع بالصوت؟

يضع الهادي يده على فمها.

- بنتك بِكْر زي ما هي يا أم عمرو، بلاش فضايح

- بِكْر.... بعد كل اللي بتقوله ده تقولي.. بكر!! طب ازاي!؟

- يا حبيبتي ده من رحمة ربنا.

هو مش بيكون زي ما انتي فاهمة، البنت بتحس بيه وكأنه جوزها فعلًا في السرير، لكن ما بيحصلشي إيلاج.

- مش فاهمة حاجة.

- يعني بيحصل تهييج، وحاجة كده زي الاحتكاك الخارجي بس، اطمني يا أم عمرو،

رحاب لسة بنت، وبِكْر،

وإلا كانت كل واحدة تعمل كل اللي هي عايزاه، وِتِحْمَل في الحرام بِعد الشر، وتقول عملها عفريت!

وبكده تفْلت من (إقامة الحد عليها) أو العقاب يعني أو الفضيحة، ربنا ما يكتبها على أولادنا.

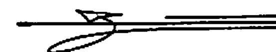
تبكي أم عمرو بحرقة لما أصاب ابنتها.

هَمَّ الهادي لإيصالها حتى باب الشقة، فقالت له:

- خليك انت يا حبيبي من البرد، وأنا هقفل الباب ورايا.

- هوصلك شوية يا أم عمرو.

- لا خليك إنت، بس هستناك الصبح ضروري يا هادي.



- حاضر، حاضر.

استيقظت الحاجة، منادية على الهادي:

- يا هاااااااادى.

- أيوه يا حاجة.

- بتتكلم مع مين يا ابني الساعة دي!؟

- مفيش يا حاجة، نامي يا حبيبتي.

- الله يهديك يا ابني، ويبعد عنك كل اللي يؤذيك.

❊ ❊ ❊

الدكتور مؤنس يقرر إرسال ابنتيه للعلاج بالخارج، فلن يستطيع إيداعهما مصحته الشخصية؛ حرصًا منه على سمعته، ومستقبل ابنتيه، ولأنه يؤمن أن هذه أعراض مرض نفسي أو عصبي.

❊ ❊ ❊

أتى نور الصباح، وسعى الخلائق إلى أرزاقهم.

الشيخ مصطفى بمكتب الضابط أحمد، يحتسي القهوة معه، احتفالًا بالقبض على الساحر عطوة:

- مبروك يا شيخ مصطفى، خَلَّصْت صاحبك من المجرم ده.

- الحمد لله رب العالمين أولًا، ثم البركة في سيادتك يا أحمد بيه، بصراحة حضرتك عملت خطة محكمة للقبض على الراجل ده.

- من غير تعليماتك، ما كوناش عرفنا نتغلب على شبكة تجسسه.

ويضحك، فيضحك لضحكه الشيخ:

- أستأذن سيادتك، عايز أكمل قهوتي بحضور عطوة هنا في المكتب.

- عايز منه إيه ده!؟

- أبدًا؛ لأني وعدته أني هشرب معاه القهوة هنا، وهو مسجون.

- أمرك يا سيدي، يا شاويش حسين.

- نعم يا فندم.

- هات عطوة من الحجز متكلبش هنا لعمك الشيخ مصطفى، وهات قهوة تانية، ولما يخلص معاه عمك رجعه الحجز.

- حاضر يا فندم.

- وأنا هستأذن بقى يا مولانا، المكتب مكتبك، عشان عندي شغل.

- اتفضل يا ابني، ربنا معاك بالتوفيق.

وبعد قليل، يدخل عطوة مقيدًا، ذليلًا، مطأطئ الرأس.

- مين!؟ الشيخ مصطفى!

- مِشْ وعدتك أشرب معاك القهوة في مكان تاني، ونصحتك، وقلت لك حزب الله هم الغالبون.

- أستحلفك بالله يا شيخ مصطفى تقول لي ازاي خليتهم يمسكوني!؟

ازاي، وأنا باعرف الأخبار في وقتها!!

- ليه ما سألتش الخدام بتوعك عن السبب!؟

- سألتهم طبعًا، بس مفيش حد عايز يتكلم.

- هجاوبك يا عطوة، لكن جاوبني إنت الأول على سؤالي.

- اتفضل.

- إنت لقيت خير في عبادة الشيطان من دون الله؟ مع كل اللي كسبته من أموال!؟

- لا خير، ولا راحة، ولا طمأنينة، ولكن حب الدنيا وغواية النفس قبل الشيطان.

- أما عن سؤالك، قبل خروج أي واحد وأي مجموعة لعمل تحريات، أو حتى النهارده لما قبضوا عليك، إلا ووصيتهم، وشددت عليهم بالطهارة، ودعاء الخروج من المنزل..

(بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اللهم إني أعوذ بك أن أَضِل أو أُضَل، أو أذِل أو أذَل، أو أظْلِم أو أُظْلَم، أو أجْهَل أو يُجْهَل عَلَيْ، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم)

يُقال لمن قال هذا الدعاء، هُديت وكُفيت ووقِيت،

ويتنحى عنه الشيطان، ويقول الشيطان لرفيقه الشيطان كيف لك برجل قد هُدي وكُفي ووقِي!.

يعني شياطينك وخدامك بتتعطل مهمتهم ببركة هذا الدعاء، حزب الله هم الغالبون يا عطوة، ربنا يهديك ويكتب لك التوبة.

* * *

لم تكن سعادة الأستاذ يوسف بخلاصه من هذا الشرير لِتوصف، كذلك لم يستطع شكر صديق عمره الشيخ مصطفى

على وقوفه بجواره وقت محنته، ولكن الشيخ لم يُلْقِ بالًا لكلمات الثناء والشكر بقدر ما كان تركيزه لإرشادات التحصين.

من ذكرٍ لله دائمًا بالبيت، وجعل نصيب من صلاة النافلة به وكثرة تلاوته القرآن، وخاصة سورة البقرة فإنها تطرد الشياطين، وكذلك لم

يَنْسَ إسداء النصح الدنيوي لصديقه بعمل إعلان صغير عن بيع البيت بالجريدة الرسمية فذلك أَوْقع لإحضار أكثر من راغب في شراء البيت.

***

حقيقة نَمَا لِعِلْم الدكتور مؤنس العلاج بالقرآن لمثل هذه الحالات، ولكنه استكبرها أن يعترف بذلك وهو العالم الأستاذ الذي قضى قرابة نصف عمره بدولة العلم والعلماء، إنه ينتظر نتيجه الرحلة العلاجية لابنتيه التي لا يبدو أنها ستنجح.

فبعد كثير من جلسات العلاج النفسي وعلاجات الجهاز العصبي، لم تتحسن حالة سالي ولينده، ولكنها تزداد سوءًا، فقرر العودة إلى مصر، وعمل أي شيء في سبيل شفاء ابنتيه، وليس أمامه سوى تلميذه سامح ليسأله عن شيخ

يعالج بالقرآن، ولكنه يفكر كيف يرد على إنكار تلميذه لهذا المبدأ، فهو علميًّا مرفوض تمامًا.

وإن استطاع هو كأستاذ إقناع تلميذه بذلك، كيف لسامح أن يلجأ إلى الهادي صديقه ليقوم هو أو شيخه مصطفى بعلاج ابنتي مؤن!؟

وكم سَخِر منه أمام الأصدقاء، وعدم اعترافه بهذه الطريقة للعلاج علميًّا.

❋ ❋ ❋

أما رحاب فقد نالت نصيبها من بركة القرآن، وتعلمت كيف تقي نفسها شر ذلك، وعَلِمَت أنها بذلك الصنيع تَعْرِض نفسها رخيصة على خبيث يفعل بها ما يشاء.

❋ ❋ ❋

يحكي الهادي ما حدث معه لشيخه،

وأنها تأتيه حُبلى، فينكر ذلك شيخه بشدة،

ويَشُدُّ على يديه قائلًا:

- هي كانت بغرفتك، متجسدة، متحركة، زيها زي بني البشر، من لحم ودم، وأنت صاحي وواعي، ومدرك؟

يرد عليه الهادي بصدق:

- لأ، إما في نوم أو بين نوم ويقظة.

إنما ما حصلشي والتقينا بالصورة اللي بتوصفها حضرتك دي يا شيخي.

- طيب منين عرفت وأيقنت بأنها هتخلف لك ولد!؟

- مش عارف يا شيخ مصطفى، يا ريتك تخلصني من الجوازة السودة دي، وحتى إن كانت صادقة وأنجبت بالفعل، ها أحن على ابني ازاي، وهاخده في حضني ازاي، وهيكون جنسه إيه الابن ده! إنسي واللا جنّي؟

- الموضوع ده يتطلب الرجوع لكتاب العهود وتحضير لأهلها، وده مش موضوع بسيط، واللي زيي ما يعرفوش يعملوا الحكاية دي، أنا عبد فقير

إلى الله، ليس لي هذا السلطان، ولا حتى سلطان العلاج بالقرآن، فقط أتبع سببًا، وما الشفاء إلا من عند الله

ربي، ورب الشفاء.

- اعتبرني حالة يا شيخي، وحاول تعالجني.

- يا ابني، إنت ما بتعانيش من مس شيطاني، ولم يتلبس جسدك جنّي عشان أعالجك.

- حط إيدك على راسي بس واقرأ يا شيخي.

- تعالى يا ابني.

وأخذ يقرأ حتى انتهى من القراءة، ولم يتغير شيء، ولم يظهر على الهادي أي علامات من تلك التي تظهر على من يعانون من المس الشيطاني.

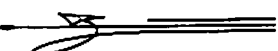
ينصرف الهادي يائسًا، فقد فعل كل ما يحلو له، وكان يظن أن بإمكان شيخه تخليصه!

يدور فكره في سَحَر الإنسية الجميلة، وحُضْن أولاده منها، ويلعن تلك النزوة وذاك الحلم وتلك الزيجة.

يذهب من فوره لسؤال خالد رفيق دربه في ذلك! عن كيفية الخلاص؟ فيدُلَّه على الشيخ المُخَلِّصْ الذي يستطيع فعل مالم يقدر عليه الشيخ مصطفى، ويُوهِمُه بالكرامات والصولات والجولات، والأنوار.

وكان هذا أسمى أهداف الشياطين، أن يلجأ شيخ حافظ لكتاب الله إلى هؤلاء السحرة الملاعين؛ كي يخرج من رحاب القرآن، وينااله نصيب من شركهم.

هؤلاء الذين يتناوبون الأذى لخلق الله، أحدهم يعقد والآخر يُفرج، أحدهم يسحر والآخر يَفُك السحر، وهما فريق عمل واحد، كان ذلك بين شحته في بني سويف الذي دَلَّهُ



عليه خالد، وعطوة بالمقطم.

معظم شرور عطوة في بني سويف منطقة شحته،

ومعظم شرور شحته بالمقطم منطقة عطوة الذي كف الله أذاه عن خلقه، بسجنه فلن يستطيع العمل وتحضير الشياطين بمحبسه، لعدم وجود أدوات التحضير بالسجن.

أما شحته فمستمر في ظلمه وبغيه.

جعل خالد الطريق ممهدًا أمام الهادي، كي لا يرى خَلاصَهُ إلا على يد هذا الشيخ الذي سيكتشف بالطبع بمجرد وصوله إليه أنه ساحر، وذلك هو المطلوب بالضبط من الشيطان الخبيث تجاه الهادي.

فسيكون أمامه خياران، إما أن يطلب العون من الساحر، فيشاركه إثمه العظيم، وإما أن يظل يُكْوى بنار زيجته التي سَتُلهيه عن ربه وقرآنه وصلاحه، وستفتنه كما تشاء.

يقرر الهادي الذهاب إلى الشيخ شحته في بني سويف حسب زعم خالد أنه شيخ وله كرامات.

ولكنه مشبع بتعليم شيخه مصطفى، الفرق بين الصالح والطالح.



لا يكسر ملل طريق السفر سوى النوم أو تذكر أحداث مهمة مَضَتْ.

كان الهادي يراها، في وجوه كل من رأى بطريقه إلى بني سويف حيث سَئِم كل شيء.

تذكرها يوم أن ذهب لخطبة سحر مع والدته؛ حيث جعلته يراها قبيحة كما رأى عُلا سابقًا،

ولكنه هذه المرة عَلِم ما يحدث من كَذِب وافتراء،

وسِحْر لعينه كي لا يرى سواها،

فهو يعلم سَحَر جيدًا، ويعلم جمالها سابقًا قبل أن تُسَلَّط هي عليه.

ويعزم أن يكمل مشواره ويرتبط بسحر الإنسية الجميلة التي أظهرتها له بغباء منها قبيحة،

ويخاطبها في صمت، وبخياله فقط، كي لا يُظَن به الجنون:

- (كان واجب عليكي تعملي حيلة شيطانية تانية غير الرخيصة دي)

فهو وحده يراها الآن تجلس بمواجهته صغيرة، كدمية على متكيء الكرسي أمامه بالباص أو الحافلة.

يصرف نظره عنها وينظر إلى بحر اللون الأخضر على يساره من النافذة محاولًا الابتعاد بناظريه عنها.

ولكنها تأبى ذلك وتظهر له كبيرة تجري مجرى الزروع للجالس داخل الباص.

ولا يسمعها غيره، وهي تقول له بصوت مرتفع جدًّا:

- هروح فين بأولادي منك!؟

ودون أن يشعر بمن حوله رد عليها بصوت مرتفع:

- (طلقيني يا أختي، مش العصمة في إيدك!؟).

وينتبه هو لصوته المرتفع وسط الباص الفاخر المتجه إلى بني سويف.

ويتغير لون وجهه من الخجل والإحراج ناظرًا لاإراديًّا إلى من يجلس عن يمينه،

فإذا برجل مُسِن، تخفي طيات وتجاعيد وجهه خبرة وقسوة السنين، قال له الرجل الجالس بجواره متعجبًا:

- هو انت وصلت للمرحلة دي، بدري قوي كده يا ابني !! محصلشي حاجة، خير، اهدى يا ابني، اهدى يا حبيبي، روق كده هطلب لك شاي.

حد برده يركز مع النسوان قوي كده، يا ابني دول ناقصات كل حاجة!، مش بس عقل ودين.

بس انت الغلطان، حد يخلّي العصمة في إيد مراته

تلعب بيه الكورة بالشكل ده!

ويمتعض العجوز بوجهه، مفتعلًا حركة سخرية به، ويقول:

- فيه راجل طول بعرض كده يقول لمراته طلقيني!!

مش حلوة.

يريد الهادي أن ينفجر بوجه العجوز غضبًا من كلماته اللاذعة، ولكنه يكظم غيظه:

- اتفضل الشاي.

- هشربه بس ما تتكلمشي معايا خالص لو سمحت.

العجوز مبتسمًا ساخرًا مشفقًا:

- طيب ما تزوقش، إنت هتتشطر عليه أنا !!

- خد يا عم الشاي بتاعك أهه، مش عايز حاجة منك، أنا مش ناقص أساسًا.

- طيب خلاص، خلاص، اهدى واشرب الشاي، وأنا مش هتكلم خالص تاني.

بنظرة من الهادي معناها أكيييييد؟

يرد عليه بنظرة الكبيييييير بمعنى عيب عليك.

يشرب الهادي الشاي، ومع كل رشفة يهدأ حتى انتهى منه.

ابتسم، بل ضحك بصوت مسموع،

يرمقه العجوز بنظرات تعجب !!

يُذَكِّرُه الهادي بنظرة تحذيرية أخرى، بالتزام الصمت وإلا سيترك المكان، وإن فعل يُعْتَبر ذلك انتهاء تسلية

الطريق بالنسبة للعجوز، فيلتزم الصمت ويكتفي بمراقبته ليستمتع بأكبر فيلم سينمائي عن إجرام الزوجات،

وتأثيرهن لدرجة إيصال الأزواج إلى الجنون.

تذكر قباحة وجه عُلا، وحادث نفسه قائلًا:

- أكيد علا دي كمان جميلة زي قمر!!

وتذكر تَهْتَهة كلمات الأستاذ يوسف.

وعطوة حين القبض عليه، فقد كان مع فريق الشرطة.

يتذكر تعجب عطوة واهتراء كلمات تعجبه..

ازاي؟ لأ.

ازاي محدش بلغني؟

الضابط وهو يضع الأساور الحديدية بيده:

- هنعمل لسيادتك تشريفه المرة الجاية!

ينادي على خدامه بهستيرية:

- يا خنزب، يا أجدع، يا فزاع!

يرد عليه الضابط بسخرية:

- ما تقلقشي يا عطوة، هيجولك كلهم بربطة المعلم في الزيارة.

* * *

- يا اللـــــــــــــه!، إيه ده!؟

عندما اقترب الهادي من مكان الشيخ شِحته، بوصف خالد له وجد ساحة كبيرة كساحة المسجد الأحمدي مليئة بكل شيء كالليلة الكبرى للمولد!

مليئة بالناس وحكاياتهم وخرافاتهم عن عظمة الشيخ المزعوم وقدرته وكراماته،

ليس هذا فحسب !!

بل أُناسٌ يبيعون القصب والشاي والسندوتشات والسجائر.

دورات للمياه بالأجر، يقف الرجال بجوارها صفًّا واحدًا، وأخرى للنساء، فخادم المسجد يغلقه بعد الصلاة.

فتلك فرصة، ووجود الشيخ المزعوم كذلك فرصة كي ينال هؤلاء نصيبهم من الرزق:

- من فضلك أوصل للشيخ ازاي؟

- خمسين جنيه، وسجل اسمك، واحفظ رقمك ميتين وستاشر؟

- يا اللـــــــــــه !!والرقم اللي عند الشيخ كام دلوقتي؟

- مية وسبعين.

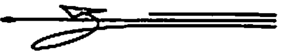
- لسه قدامي وقت طويل.

وضوء وصلاة، لا مانع من بعض السندوتشات والشاي.

وقت طويل ممل، رقم مئتان!،

الحمد لله.

- بقينا نص الليل ولسه قدامه خمستاشر حالة!، بقيت حالة يا شيخ هادي. الحمد لله على كل الأحوال.



يسمعها تقول:

- تقدر تمشي، لسه الفرصة قدامك، تقدر ما تحتاجشي لحد.

لا يُنْصِتُ إليها ويقرر الذهاب لبائع القصب، فكم يفتقد إلى ذلك، أن يمسك بالعود ويطحنه بنفسه بأضراسه؛ ليرتشف أجمل عصير رباني، فهو يعيش بالمدينة لا ينعم بمثل هذا.

- الشيخ شحته هو فيه زيه!!

ويتبع ذلك مصمصة كصوت يصدر عن فم المتحدث تشبه تلك التي تصدر لا إراديًا

عند التعامل مع عود القصب الطري.

- جاله را جل مشلول!! قاعد على كرسي متحرك

شاله ورماه في النيل، الراجل قعد يضبش بإيديه ورجليه لحد ما طلع البر زي القرد.

- واللا الست اللي ما كانتشي بتخلف يا عيني، وعندها الفلوس بالقنطار، ونفسها في حتة عيل يورثها!!

بركاااااتك يا مولانا،

ربنا أكرمها آخر كرم، وبدل العيل حبلت في توأم.

يسمع الهادي هذه الحكايات ويتذكر شيخه مصطفى

ويشعر بافتقاده، ويذكره بالخير فهو يعالج الناس مجانًا،

ولا يوجد حوله كل هذه الضجة، وهذه القصص التي ربما تكون مصطنعة، بل ربما يكون راويها مأجور من الشيخ نفسه! كهؤلاء الذين يكبرون خلف المقريء في سرادق العزاء.

- من ميتين وعشرة لميتين وعشرين اتفضلوا جماعة إلى الشيخ، مفيش داعي كل فرد يدخل لوحده.

- يا فرج الله، أخيرًا هنال الكرامات والبركات، وأحظى برؤية صاحب النفحات، يقولها الهادي بسخرية من نفسه، ومن الشيخ قبل أن يراه.

وقف الجميع أمام الشيخ..

رجل نحيف أسود ليس بطويل القامة،

يلبس سروالًا أبيضَ سميكًا، محكم الغلق ناحية مشط القدم، وحُلة بيضاء أيضًا سميكة، عليها شريطان متقاطعان لونهما أخضر.

وعمامة بيضاء كبيرة جدًّا يختلط بها اللون الأخضر ويمسك بسيفين بشكل متقاطع، وكأنهما

صولجان المُلك عند الفراعنة،

وعن يمينه وشماله مساعدان أنحف وأقصر منه قامة،

أحدهما يمسك بدُف كبير بشخاليل، والآخر يمسك بصاجات كبيرة، الهادي تنتابه حالة من الشك في هذا المستشيخ، وبدأ المساعدان يدقان ويعزفان، وينشدان كلمات غير مفهومة، وجلس المستشيخ على كرسي كبير به نقوش

عجيبة، وبعد قليل قام المستشيخ دخل غرفة جانبية وبتراتيل مهيبة، أنشد المساعدان أن الشيخ يتوضأ ليسجد ويقترب، دخل اللئيم ليتنجس ثم خرج، سَكَتَ الجميع في سكينة مهيبة، رفع يديه بتكبيرة الإحرام الله أكبر.

الجُهَّال يهمهمون:

- الله أكبر.. ما شاء الله.. ربنا يجعلنا من بركاته وكراماته.

وبعد سماع الناس تكبيرة الإحرام يتقرب الخبيث إلى معبوده الشيطان يقرأ الطلاسم والأسحار،

ويسجد له ويقترب، كي يساعده ويقف بجواره ويخبره الأخبار ويعلمه الأسرار.

ولكن لا يحلو الكلام إلا بدوس الرقاب، يتمثل إليه كلبًا أسودَ يدوس بقدمه فوق رأسه.

تنتهي الصلوات الخبيثات، والتحيات المذلات،

يقف الأسود وقد ازداد سوادًا، ينعق مع مساعديه ويتمايل ويتراقص بتناغم عجيب مع دقاتهم، ثم أمسك بسيف

وتمتم إليه راقصًا، ثم ضربه في صدره؛

ليراه من يقف يشاهد قد ظهر سنه من الناحية الأخرى.

هلل المساعدان:

- الكرامة حضرت!

أُرْهِب الناس جميعًا عدا صاحب القرآن، من تعلم في مدرسة الرحمن، من يعلم أن يفرق بين الشيخ والساحر،

وكما علمه شيخه مصطفى بدأ الهادي يقرأ

آية الكرسي حتى انتهى.

وقع المستشيخ أرضًا مغشيًّا عليه يسيل دمه.

كل هذا ينهار من آية واحدة فقط!،

تفر الشياطين وتتركك وحدك يا مسكين!

سُخْقًا له من مُلك زائل منقطع، هذا الذي ينشده كل ضال يتبع طريق الشيطان الأخرق.

حالة من الخوف والهلع وعدم تصديق ما حدث، فليست المرة الأولى التي يفعل بها هذا الصنيع.

إنه ساحر يسحر أعين الناس ويسترهبهم ويصنع ما هو أكبر من ذلك، هاج الناس وماجوا.

- استر يارب، إيه اللي حصل؟

اجتمع الناس حول المستشيخ يتعجبون مما حدث..

- الإسعاف، الإسعاف يا جماعة، الراجل هيموت.

يحمله الهادي وحده، ويجري به نحو الطريق باحثًا عن أي سيارة مسعفًا إياه، ويتبعه المساعدان.

يهمس إليه الهادي:

- كَشَفْتَكَ وفَضَحَتْ سرك آية الكرسي، يا شحته.

إن شاء الله ربنا هينجيك، وهتعيش ما تخافشي، بس ياريت تتوب لربك، وتبعد عن شغل الأبالسة بتاعك ده.

شحته ينظر إلى الهادي، ودموعه تتساقط من شدة الألم، ولا يستطيع النطق، فالسيف يخترق جسده النحيل.

لم يتركه الهادي إلا بعد أن خرج من غرفة العمليات،

واطمأن عليه من الأطباء، بوازع إنساني دَعَوِي منه، وشعور منه أنه كان سببًا في ما حدث له، بقراءته لآية الكرسي، وتوقًا منه للحصول على أجر هدايته وإبعاده عن طريق الفساد.

* * *

بعد أن تم شفاء شحته من لعنات هروب الشياطين، وتركه وحيدًا بعد أن قرأ الهادي آية الكرسي المباركة، راودته نفسه للتوبة، ورجوع الغصن إلى أصله، ولكن الشيطان بالتأكيد لن يعطيه تلك الفرصة، وكذلك الناس فهم دائمًا من يصنع الفرعون!

يحاور نفسه ويستعيد كلمات الهادي عن فضل القرآن الكريم، ويلوم نفسه عن هذا التفريط، وكما أن الشيطان يريد من قصد بابه، كذلك الرحمن أولى بعباده، من كان في قلبه مثقال ذرة من خير لا يتركه أبدًا، يبيت شحته ذات ليلة فيرى فيما يرى النائم أنه وحده بمكان مظلم، مقيد بالسلاسل.

وبهذا المكان يوجد قدر كبير من الزيت يغلي من وهج النار تحته، وينادي عليه أن اسحبوه على وجهه إلى القدر!

وهو يصرخ ويستغيث، فلا يسمعه أحد، ينادي على من يعرف من الخدام والشياطين، فيجدهم مَنْ يسحبونه على وجهه، وهم أنفسهم من يريدون الفتك به، وإلقائه في هذا القدر البغيض، ولأول مرة ودون أن يدري يجد نفسه يستغيث بربه ورب كل شيء، وهو على وشك الهلاك ينادي يا رب، يا رب.......... سامحني يا الله.

وبعد عدة أيام ينسى كل شيء، بعد التفاف الناس حوله من جديد وإلحاح الخدام عليه، وعرضهم عليه فكرة من أفكارهم الشيطانية كي يعود إلى عرشه، بكلمات يقنع بها الناس لما حدث له، وبالفعل يُفتن بشياطين الإنس والجن، فكل منهما له مصالح إن ظل هو على غيه وشركه، وكذلك غرَّه طول الأمل، وقتلته كغيره كلمة سوف أتوب حينما يقترب الأجل!

***

يشعر الدكتور مؤنس بحرج شديد من تلميذه سامح، لكنه يقرر البوح له بسره، فليس أمامه سوى من له سلطان عليه، وفي نفس الوقت من سَيُقَدِّر حجم المشكلة والورطة التي هو بها، دون أن يسخر منه ولو بخاطره!

- سامح، من فضلك تعرف شيخ بيعالج حالات المس الشيطاني بالقرآن؟

يشعر سامح بالذهول من وقع السؤال على مسامعه!

- أيوه يا دكتور أعرف، لكن ليه!؟

بانفعال وغضب- قال مؤنس:

- من غير ليه يا أخي، عايز عنوانه لو سمحت.

- حاضر، حاضر يا دكتور، سؤال حضرتك صادم بس مش أكتر.

- يا سيدي ببساطة عايز أعمل بحث عن الموضوع ده، مش يمكن فعلًا يكون فيه حاجة كده، وتكون بعض الأمراض العصبية بسبب الجن!

- لو سمعت الكلام ده من حد غير حضرتك يا أستاذي مش ممكن كنت هصدقه.

- ليه يا سامح، هو أنا مش قلت لك قبل كده إن الإنسان ده لغز كبير جدًّا، والدكتور الشاطر هو اللي يقرأ كتير جنب تخصصه، ويؤمن بالتجربة، والدين، والعلاج اللي ينفع مع إنسان وارد جدًّا إنه ما ينفعشي غيره، وما ناخدشي كلام الكتب كله دايمًا مسلمات وحقائق.

- تمام، خلاص يا دكتور، بس لازم أكون مع حضرتك في التجربة المثيرة دي!

بدون تفكير ويغضب وبسرعة- قال مؤنس:

- لأ، ده بحثي أنا، شوف لك انت أي موضوع تاني.

بتعجب شديد من رد فعل مؤنس- قال سامح بابتسامة ود:

- خلاص يا دكتور اللي تشوفه حضرتك.

واتصل بصديقه الهادي يسأله على عنوان الشيخ مصطفى.

- عجيبة، إنت يا دكتور سامح عايز عنوان الشيخ مصطفى! ليه؟، هو مش في نظرك دجال

ومشعوذا!.

يشعر سامح أيضًا بحرج من كلمات صديقه اللاذعة:

- اخلص يا شيخ هادي، إنت فاكرني عايزه في شغل حلق حوش بتاعكوا ده!، كل الحكاية كام سؤال كده عشان البحث بتاعي.

- مع إني مش مصدقك، بس ماشي.

* * *

يذهب الدكتور مؤنس إلى الشيخ مصطفى مُكْرَهًا،

فليس أمامه اختيار آخر، وأقنعه بزيارته بالفيلا لعمل جلسة علاج بالقرآن، وأوصاه أن يأتي وحده لوجه الله، فالحالة حرجة.

وحين ذهب إليه الشيخ أخبره الدكتور مؤنس أنه متخصص بعلم النفس والأعصاب، وأن العلم لا يؤمن أبدًا بهذه الطريقة للعلاج، فأخبره الشيخ مصطفى أن القرآن شفاء، وأنه إن فشل في علاج حالة، يدل أهلها بعرضها على طبيب متخصص نفسية وعصبية، وأنه أيضًا يجب عليه أن يعرض الحالات التي يعجز الطب النفسي عن علاجها، على شيخ مؤتمن يعالج بالقرآن والطب النبوي، ولا شيء في ذلك أبدًا، فجميعنا يكمل بعضنا بعضًا في الخير.

بعد جهاد من مؤنس، واستنكار من البنتين وافقا على المثول بين يدي الشيخ، وبمجرد رؤيتهما طلب الشيخ مصطفى تغيير ملابسهما بأخرى، لا تَشِفُّ ولا تَصِفْ، وكذلك ستر الشعر.

- مش معقول يا دادي، التخلف والرجعية دي، ما نروح نقعد في خيمة في الصحرا بقى أحسن!

ينظر إليهما الشيخ مصطفى بأدب وحياء وحنان، قائلًا:

- هو تنفيذ أمر ربنا تخلف ورجعية يا بنتي!؟ ومالها الخيمة والصحرا، أجدادنا كلهم عاشوا في الخيام.

- معلشي يا مولانا، أصلهم طول عمرهم عايشين في أمريكا.

- كلها أرض الله يا دكتور، بس لازم الحشمة، ولازم الإيمان بفضل القرآن.

لم يفلح مؤنس بإقناع بناته، فمن شَبَّ على شيء شابَ عليه، نصحه الشيخ قائلًا:

- واحدة واحدة يا دكتور، أولًا تشغيل القرآن في البيت باستمرار، حتى لو سبب لهم هياج ما تنزعجشي، ده طبيعي، وعدم السماح لهم

بالخروج، وحاول تقنعهم بالملابس اللي تسترهم، أنا آسف، وكمان بلاش موسيقى وغناء خالص، وإن شاء الله بعد شوية هيتجاوبوا مع حضرتك.

وبعد شهر، تغيرت الأحوال، وتكررت زيارات الشيخ مصطفى حتى تم شفاء سالي، أما لينده ظلت تعاني من هذه المشكلة، ولم يفلح الشيخ مصطفى بعلاجها، فقد كان الجني يهرب وقت جلسة العلاج، وبعد الانتهاء وانصراف الشيخ يعود ويتلبس جسدها، هذا اللئيم الخبيث، ظلت هكذا لينده، حتى أصبح الأمر بالنسبة للأسرة كلها أمرًا عاديًا وطبيعيًا، حتى الوصول لمرحلة المزاح مع لينده بهذا الأمر دون حرج أو تحفظ!

***

يحكي الهادي ما حدث بالتفصيل للشيخ مصطفى ويعترف له أنه ذهب لهذا الشيخ، الذي لم يكن يعرف أنه مزعوم.

وأنه النقيض تمامًا، إنه ساحر، كشفته آية واحدة من كتاب الله، جعلت خدامه وشياطينه يفرون هربًا، بعد أن تركوه وحده دون أن ينجوه من براثن سحرهم.

فيعقب الشيخ:

- هي دي بركة القرآن يا ابني، وآية الكرسي بالذات لكشف المستور الأسود العفن.

بعد ما دعيته أنت إلى الله، وإلى طريق الحق ولمست قلبه يقينًا بركة القرآن، كلام الرحمن

وتأثيره، وتأكده أنه أقوى من سحر الشيطان وطلاسمه ربما تاب وأناب ورجع إلى ربه،

فالفاصل يا ابني شعرة رقيقة، هي اللي بتخليك تطوف لأمر الحق أو تُقبل وتقدس حجرًا، وبين الطواف لغير الله وتقديس أحجارٍ أخرى كانت للات والعزى ومناة وهبل،

الشعرة الفاصلة دي، هي الإيمان بشعائر الله، والكفر بشعائر الشيطان، اللي عايز يضخم حجمه بأي طريقة! والحق معلوم، ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب.

هنزور شحته مع بعض إن شاء الله، يمكن يكون ربنا هداه وتاب، ورجع عن طريق الضلال بعد ما يتعافى.

* * *

الهادي يلتقي خطيبته سحر لأول مرة، هادئ النفس يراها جميلة على هيئتها الطبيعية ولا يعلم ما السبب!؟

هل مؤقتًا لإصابة شحته، هذا المجرم الذي سلط الجنية عليه، أو لخوف الشياطين من الآية الكريمة التي شَتَّتَتْ

جمعهم وفرقتهم هاربين، لربما قد تعلم الهادي سرها يقينًا، لم يستمر الحال على ذلك كثيرًا، حتى عادت إليه الجنية العاشقة تلاحقه بكل مكان! يتحدث إليها ويحسبه الناس قد أصيب بالجنون، وأنه يحادث نفسه، لا يستطيع النوم طوال الليل بسببها هي وأهلها الذين يريدون الفتك به، وما كان يمنعهم عنه سوى قراءة القرآن آناء الليل وأطراف النهار، حكى لشيخه فنصحه بالاستمرار على ذلك حتى يملوا منه، فلا سبيل أمامه سوى ذلك، كثرة الطاعات، وعدم اقتراف ذنب، والقرب من الله عز وجل والاحتماء برحابه.

***

بعد ثلاثة أشهر، يذهب الشيخ مصطفى مع الهادي يتفقدون أحوال شحته بعد هذه النفحة الربانية،

وتبيان عظمة القرآن وتأثيره على أعوانه من الشياطين لربما راودته نفسه للتوبة والإنابة.

ويفاجأ الهادي بنفس المنظر بالساحة لم يتغير شيء، الناس هي الناس، من لهم مصالح بوجود مثل هذا الشيخ ولو بالزَّعم! هؤلاء المتفعون من يبيعون بالساحة، ومن يساعدون الساحر، وكذلك الصنف الآخر من الناس من يحبون الذي يعبث بأحلامهم وآمالهم، ويرسم لهم

ولو بالزيف طريقًا يحبونه، ويتلمسون به أملهم المفقود ولا يصدقون حتى عين اليقين التي تنجيهم من ضلالاتهم.

متحدثًا إلى أحدهم:

- من تلات شهور كده، سمعنا إن الشيخ وقع على الأرض، والسيف كان هيقضي عليه، ودخل المستشفى، يا ترى إيه اللي حصل بعد كده؟

- بركاتك يا مولانا.. مدد مدد.

الشيخ شحته ده راجل واصل، ومن أهل الخطوة،

ده عرف إن واحد من اللي كانوا واقفين يومها كانت هتحصل له حادثة فظيعة، اتلقى سهم القدر عنه!

واتصاب مكانه عشان يحميه، اللي في حماهم ما ينضام أبدًا، يقول الشيخ مصطفى بحنق شديد:

- أستغفر الله العظيم... أستغفر الله العظيم.

إنك لا تهدي من أحببت، ولكن الله يهدي من يشاء.

يقولها تجلجل وتهز أركان الساحة، بانفعال وغضب لله، ولكنه كداعية يعلم فضل الدعاء، فأخذ يدعو الله له بالهداية، وكأن أبواب السماء كانت مفتوحة، والدعاء متقبل.

وهناك بعض الدعوات تستجاب في حينها ويشعر بها المؤمن أنها استجيبت، فور النطق بها.

وليس أقوى من دعوة المظلوم، فما بالك بدعوة من يغضب لمن ظَلم رب العالمين بالفحش بالكفر به سبحانه.

ولكنه يعلم حلم الحليم الرؤوف بعباده، ويعلم أن الله يحب أن يدعو العبد بالصلاح والهداية بدلًا من القطيعة والبغاية.

يخبر الخدام شحته بوجود الهادي والشيخ مصطفى،

يشعر الشيخ مصطفى من فوره بلمس إجابة دعائه قلب الرجل.

يخرج شحته يبحث عن الهادي، يعلمه يقينًا، فقد أنبأه أن آية الكرسي فضحته، ولم يستطع وقتها الرد عليه.

والآن قد علم بوفد الرحمن إليه، ودعوة ثالثة للتوبة ربما تكون الأخيرة، بعد علمه بفضل آية واحدة من كتاب الله، وبعد حلمه الذي لا يُتَصَور أن يظل بعده بلا توبة!

ينبض قلبه لأول مرة بالاستغفار، وتبدأ روحه بالتطهر من الدنس، ويبدأ الفرع يعود لأصله وفطرته بعد أن جف وكُسر، يرى الناس حوله كيوم الحشر، وهو بينهم عريان

يكشف ستره ظلمه ومعصيته، وفي طريقه إلى الشيخ مصطفى وتلميذه الهادي، يذكر حُلمه بعد شفائه، وكذلك يتذكر آية الكرسي وفضلها.

أصابته اليوم دعوة الشيخ الصالح، جبرت كسر ضياعه وتفريطه، لا يستمع لنداء الخدام، ولا يهتم بالتهديد، هو الآن لا يريد سوى التوبة، وإن كان الثمن حياته.

يبحث عنهما كمن يبحث عن راحلته التي غابت عنه في فلاة،

يلمح الهادي، يجري عليه، يحتضنه، ويقبل رأسه،

ينتفض الهادي منكرًا، فليس هو صاحب الفضل يشير إلى الشيخ مصطفى، ويقول:

- مش أنا يا شحته، أصابتك دعوة الشيخ الصالح

ده، ويشير إلى الشيخ مصطفى.

ينكب على قدميه تقبيلًا، يراه الناس على ذلك، فيلتفون حول الشيخ مصطفى، بنظرات ثاقبة قوية، ولسان حالهم يقول: هذا هو شَيْخُ الشيخ، الذي علمه.

.. يحمله الناس!

فوق الأعناق يهللون له!

كمن كانوا يهللون للفتوة الجديد قديمًا،

يشير الشيخ مصطفى إلى الناس.

- كفاية يا ناس... كفاية !!

كفاكم عبادة لشيوخ دينكم،

لا تجعلوا منهم أصنامًا جديدة تُعبد من دون الله،

النافع والضار هو الله وحده لا شريك له،

اتقوا الله ولا تظلموه عدْوًا بغير علم، فهو الغني عن الشريك، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا،

فكيف تلجئون لغيره وقد فتح الباب على مصراعيه أمامكم، وبشركم بقربه دائمًا!.

(وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) صدق الله العظيم

«إذا سألت فاسأل الله وإن استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك،

وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك"

وأثناء وعظ الشيخ مصطفى لعباد الله كان لشحته حال آخر، فقد ذاق طعم القرب لأول مرة.

ألقى بنفسه بملابسه في النيل؛ ليتطهر من الشرك والضلال والظلم، وخرج طاهرًا تائبًا.

يتساقط الماء من ملابسه، ومن عينيه الدمع منهمرًا، لا تستطيع أن تفرق بين ماء النهر ودموع التوبة،

ووقف وحده على شاطيء النهر يفعل شيئًا قد انخلع قلبه اشتياقًا إليه، إنه لم يصلِّ لله ركعة منذ أربعين سنة،

تهدده الشياطين بالقتل، ينادون عليه بصراخ بأنهم لن يتركوه ولن يتركوا ذريته، ينذرونه من عاقبة ما يفعل،

ولكنه صم أذنه إلا عن الحق، وأعمى عينه إلا عن التوبة، تأتيه الجِنيَّة التي سلطها على الهادي، بأمر من سيده الأعظم حين سلطها، تذكره بفعلته، وظلمه لعبد صالح من عباد الله، التي كانت بدورها تريد أذاه، لكنها أحبته بل عشقته، وأنها لن تترك الهادي حتى إن تاب هو أو مات!

- مش هسيبه يا شحته أبدًا، حتى لو رجع لكتاب العهود، لازم أنا أوافق! ومش هوافق أبدًا، وبدأت تبكي قائلة.. أنا حبيته يا شحته، حبيته! هو لازم يرجع لي، مش هسيبه يتجوز غيري أبدًا، ولو صمم وقدر يحافظ على نفسه وبيته بطريقته دي؛ هفضل برضه معاه كل ما يغفل!

شحته الآن بعالم آخر نُسِجَ من النور، هو في رحاب الله، تائبًا، مستغفرًا، لا يسمع ولا يرى ولا يتكلم إلا بدموع ندمه على ما فرط في حق ربه.

يقف مشتاقًا للقاء الحبيب، في محراب النور، رافعًا يديه بخشوع، إن وزع على أهل الساحة لكفاهم جميعًا.

فما أحلى التوبة، وما أجملها بداية!.

ينطقها الساحر التائب ليختم بها أحداث الرواية

الله أكبر

